ممالك ومالك

عند الجغرافيين المسلمين

نصوص

١

جمعها وعلق عليها وقدم لها

الدكتور صلاح الدين المنجد

عضو المجمع العلمي في القاهرة وبغداد

دار الكتاب الجديد

بيروت • لبنان

مملكة مالي
عند الجغرافيين المسلمين

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

دار الكتاب الجديد

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

المقدمة

قامت في افريقية الغربية ، في القرن السابع للهجرة ـ أي الثالث عشر للميلاد ـ مملكة واسعة اسمها مملكة مالي ، سميت باسم احدى الدول المنضمة اليها ، كانت تمتد من المحيط الأطلسي غرباً الى بلاد البرنو ـ أي نجيريا ـ شرقاً ، ومن جنوب المغرب الاقصى شمالاً الى ما يقرب من المحيط جنوباً . وكانت تتألف من خمسة دول او أقاليم هي : مالي ، غانة ، صوصو ، تكرور ، كوكو .

وقد كان لهذه المملكة تاريخ مضيء ، انتشر بها الاسلام ، وازدهر العلم ، وكانت أسبق دول افريقية السوداء الى الحضارة والتقدم والثقافة ، وتبادل ملوكها السفارات مع الدول المحيطة بها والبعيدة عنها ، وكان لأحد ملوكها منسى موسى شهرة رنانة في المشرق ، فقد ملأ أسواق مصر ، وجيوب رجالها ـ من السلطان الى الخدم الصغار ـ بالذهب والتحف والهدايا . وخاطر ملك آخر من ملوكها بنفسه ليكشف المحيط الأطلسي ويعرف ماذا وراءه ، فعل هذا قبل كل أوروبي ينسب اليه الفضل في ذلك .

لكن من المؤسف أنّ الذين عنوا بدراسة تاريخ هذه الامبراطورية ، وتتبعوا انتشار الاسلام في انحائها ، ومظاهر الحضارة التي ظهرت فيها ، كانوا قلائل جداً ، في المشرق الاسلامي . وقد ظهرت في السنوات

الأخيرة دراسات عنهـــا في سورية ومصر ، لكنها اعتمدت على المصادر الأجنبية ، ولم تستق مادتها من النصوص العربية ، وكان بعضها سريعاً موجزاً لا يشفي غُلّة ، أو نهج طريقة الاوروبيين في إظهار الخصائص الافريقيـــة ، وإهمال العامل الأول لمجدها التاريخي والحضاري ، أعني الاسلام .

وقد أهملت الدراسات الاوروبية التي صدرت عن افريقية الغربيـــة الكثير من المصادر الاسلامية العربيـــة أيضاً ولم يرجع مؤلفوها اليها ، فجاءت ناقصة ، هذا الى عيوب أخرى فيها .

ومعنى هذا أن تاريخ هذه المملكة لم يكتب بعدُ كاملاً ، ولم يُرجع في كتابته الى جميع المصادر معاً سواء المحليّة منها او الاسلامية العربية ، او الأجنبية . ولا شك أن في بعثرة النصوص الاسلامية في بطون المؤلفات المطبوعة والمخطوطة صعوبة للباحث ، وقد يكون من العسير عليه معرفتها او الوصول اليها .

لهذا كان لا بُدّ من جمع هذه النصوص الاسلامية العربية ونشرها . لتكون مرجعاً لأولئك الذين يريدون دراسة تاريخ هذه الامبراطورية وحضارتها ، ولتعرّف قرّاء المشرق العربي والاسلامي بأخبار دولة اسلامية كان لها شأنها وعظمتها .

وقد بدأنا بتقديم أهم النصوص التي كتبها الجغرافيون والرحّالون ، وسنتبعها في جزء ثان ، بالنصوص التي وردت عن مالي في كتب المؤرخين .

★★

كانت مملكة غانة ، القائمة على البحر المحيط الاطلسي ، أقدم دولة في الامبراطورية المالية وأعظمها . وجدت قبل الدول الاخرى ، وبها بدأ

الاسلام في الانتشار ، منذ القرون الهجرية الاولى . لذلك نجد الجغرافيين قبل القرن الثامن الهجري – أي قبل قيام امبراطورية مالي بأقاليمها – أو دولها – الخمس – يتحدثون عن غانة . وقد يسمّونها « بلاد السودان » يقصدون ما كان في جنوب المغرب الأقصى من بلاد السود . أو يذكرون « بلاد التبر » التي كانت جنوب غانة . وهـــذه النصوص متشابهات على الاغلب ، وفيها معارف غير دقيقـة احياناً . وأكثرها يدور حول سفر التجار من المغرب الأوسط أو الأقصى الى غانة ، ومنها الى بلاد التبر ، سعياً وراء الذهب . وقـد تذكر بعض مطاعم السودان وعاداتهم ، او انتشار الاسلام فيهم ، ومدارس العـلم عندهم ، وصفات الجواري السود اللاتي كن يبعن في المشرق . الى جانب معلومات جغرافية بحتة جافة .

ومن هـــذه النصوص ما ورد عند ابن الفقيـه ، وابن حوقـل ، والاصطخري ، والادريسي ، والبكري ، وياقوت ، والشريشي ، وابن سعيد.

ولم نجد اسم مالي إلا في نصوص القرن الثامن للهجرة ، أي بعـــد ظهور هـذه الامبراطورية واشتداد امرها ، وزيارة بعض ملوكها المشرق وحجهم الى بيت الله الحرام . وأعظم ما كتب عن مالي نجده عند ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار . فقد قدم لنا وصفاً هاماً جداً ودقيقاً للملكة وأقاليمها ومدنها ، وقبائلهـا ، وبناء دورها ، وأقواتها ، وثمارها وحيواناتها ، ووحوشها ، وعاداتها ، وتقاليدها ، وأزيائها ، وعساكرها ، ومعادنها ، وصلات ملوكها بما يجاورها ، وساق طرفاً من سير ملوكها . وما يزال هذا النص مخطوطاً . ونحن ننشره أول مرة .

وقد استقى مادته من أناس عاشوا في تلك البلاد ، وعرفوا أخبارها ، ومن أهـل مالي أنفسهم او ملوكهم الذين زاروا القاهرة ، ومن آخرين صحبوا هؤلاء الملوك ونقلوا ما حدثوهم به ، ومما عرفه هو نفسه أثنـــاء وجوده في ديوان السلطان بالقاهرة . فما كتبه جدير بالثقة .

وزار مالي في القرن نفسه الرحالة ابن بطوطة . وفي وصفه معلومات مفيدة جداً عن احوال مالي المعاشية وعادات أهلها وتقاليدها ، ورجالها ، وثقافتها ، ونتاجها الزراعي . وقد ذم ملكها منسا سليمان لأنه لم يغدق عليه العطاء ، ثم مدحه عندما اعطاه .

وفي القرن التاسع الهجري عقد القلقشندي فصلاً هاماً عن مالي . رتب فيه ما قاله مَنْ سبقه من المؤلفين ، حسب ابواب او موضوعات . فنقل عن العمري ، وابن سعيد ، وابي الفداء ، والحيري ، والمهلبي وغيرهم . وكان جلّ اعتماده على العمري . وقيمة نصّه انه جمع الكثير من نصوص الجغرافيين ، الذين لم تصل الينا مؤلفاتهم نفسها ، كالمهلبي .

فالنصوص الاساسية لمعرفة اخبار بلاد غانة والسودان الغربي عامة نجدها في المصادر التي كتبت قبل القرن السابع . والنصوص الاساسية لمعرفة اخبار امبراطورية مالي نجدها عند ابن فضل الله ، وابن بطوطة ثم عند القلقشندي .

وقد حرصنا أن نثبت هنا النصوص الثلاثة الاخيرة ، لأنها اساسية لدراسة امبراطورية مالي . في نشأتها وازدهارها وقبيل انحطاطها .

اما النصوص الاولى التي تتحدث عن غانة وبلاد السودان الغربي عامة فقد اخترنا منها ما كتبه من المشارقة ابن الفقيه ، والاصطخري ، وياقوت ، والقزويني ، وابي الفداء ، ومن المغاربة الشريشي وابن سعيد . والتشابه بينها شديد ، وقد نقل المتأخر عن المتقدّم .

واننا نأمل ان نخرج ترجمة فرنسية لهذه النصوص جميعاً في القريب العاجل . فقد نقل دُمومبين الى الفرنسية نص العمري ، لكنه اخطأ في فهم كثير من عباراته ، فبدّل المعنى ولم يصب الهدف ، ومن هنا كان لا بد من اعادة الترجمة ، وضم ترجمات النصوص الاخرى اليها .

وان من دواعي السرور ان يكون اليوم في جمهورية مالي الحديثة رجال من المثقفين واصحاب الرأي ، والسياسة ، يعتزون بماضيهم ، ويفخرون بإسلامهم ، ويحاولون ان يستمدوا من عظمة ماضيهم ، لبناء حاضرهم ، وضمان مستقبل يقوم على دعائم ثابتة من الايمان الذي زرعه في نفوسهم الاسلام ، والثقافة الطليقة الجامعة التي ازدهرت في ديارهم في الماضي ، وأقبلوا على ألوانها الجديدة في الحاضر ، والسلام الذي يؤدي الى الخير والرفاهية والخصب والمحبة . وأنا واثق ان مالي ستكون في طليعة الدول الافريقية شأناً وتقدماً . آمنت بذلك بعد أن رأيت من ذكاء أهليها وتوقدهم واخلاصهم وايمانهم . ورأيت ذلك كله متمثلاً في صديقي السيد عبد الوهاب دكور ، القائم بأعمال سفارة مالي في جدة . واني لأذكر أني ما كدت احدثه عن ضرورة نشر النصوص العربية المتعلقة بمالي ، حتى اخذته النشوة والحماسة ، وألحّ عليّ في إخراجها . فهذا الكتاب آية حبه لبلاده ، واعتزازه بماضيه .

شكر

واني لأشكر السيد عبد الوهاب دكّور عنايته باخراج هذا الكتاب . وامدادي بالجداول التي تتضمن أسماء بلاد جمهورية مالي اليوم ، وتصحيحه بعض الألفاظ والأسماء مما يجده القارىء في التعليقات .

وأشكر الاستاذ فؤاد سيد الذي أرسل اليّ نص العمري ، والدكتور هوبكنز ، من جامعة كمبرج ، الذي أمدّني بنص ابن سعيد .

والحمد لله

بيروت
١٩٦٣

صلاح الدين المنجد

المحيط الأطلسي
الصحراء الإسبانية
موريطانية
السنغال
مالي
الجزائر
المغازة الكبرى
ليبية
النيجر
فولتا العليا
ساحل العاج
غانة
داهومي
نيجيريا
الكاميرون
المحيط الأطلسي
الخطوط التلغرافية الملكية تمثل
في القرن الرابع عشر

ابن الفقيه

احمد بن محمد

(المتوفى بعد سنة ٢٩٠ هـ — ٩٠٣ م)

بلاد غانة

وبلاد غانة ينبتُ فيها الذهب نباتاً في الرمل كما ينبت الجزر ، ويُقطف عند بزوغ الشمس . وطعامُهم الذرة واللوبياء ، ويسمّون الذرة الدخن . ولباسهم جلود النمور ، وهي هناك كثيرة .

(ابن الفقيه ، البلدان . نقلا عن :

Description du Maghrib et de l'Europe au IIIe. = IXe, siècle. page 50)

الإصطخري

ابراهيم بن محمد

(المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)

وبلدان السودان بلدانٌ عريضةٌ ، إلّا أنها قَفْرةٌ قَشِفةٌ جداً ، ولهم في جبالٍ لهم عامةُ ما يكون في بلاد الاسلام من الفواكه ، إلا أنهم لا يطعمونه ، ولهم أطعمة يتغذّون بها من فواكه ونبات وغير ذلك مما لا يُعرف في بلدان الاسلام .

والخدم السودُ الذين يُباعون في بلدان الاسلام منهم ، وليس هم بنوبة ولا بزنجٍ ولا بحبشةٍ ولا من البجّة ، إلا أنهم جنسٌ على حدة ، أشد سواداً من الجميع وأصفى .

ويُقال إنه ليس في أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم اقليم هو أوسع منه ، ويمتدّون الى قُرْبِ البحر المحيط مما يلي الجنوب ، ومما يلي الشمال على مفازة تنتهي الى مفاوز مصر ، من وراء الواحات ، ثم على مفاوز بينها وبين أرض النوبة ، ثم على مفاوز بينها وبين أرض الزنج . وليس لها اتصال بشيء من الممالك والعمارات إلا من وجه المغرب ، لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الامم .

(المسالك والممالك ، ص ٣٤
طبعة الحيني ، القاهرة ١٩٦١)

الشريشي

برهانات

احمد بن عبد المؤمن

(المتوفى سنة ٦١٩ هـ ــ ١٢٢٣ م)

غانة

غانةُ بَلَدٌ من بلاد السودان . واليها ينتهي التجار — (يعنى من المغرب) . والمدخَلُ اليها من سجلماسة . ومن سجلماسة اليها ذهاباً مسيرةُ ثلاثة أشهر . ومن غانة الى سجلماسة إياباً مسيرة شهر ونصف ، ودون ذلك . وسببُ ذلك أنَّ الرفاق تتجهَّز اليها من سجلماسة بالأمتعة والأثقال ، فتُباعُ في غانة بالتبر . فمن سافر اليها بثلاثين حملاً يرجع منها بثلاثة أحمال أو بحملين : واحد لركوبه ، وثانٍ للماء بسبب المفازة التي في طريقها . حدَّثني غيرُ واحدٍ من تُجَّارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يوماً لا يرون فيها ماء إلَّا على ظهور الإبل . فأثمان أحمال الثلاثين جَمَلاً يجتمع فيها من التبر ما يُجعل في مزوَد ، فيطوون المراحل للخفَّة .

وغانة بلد مملكة السودان . وانتشر الاسلام في أهلها ، وبها مدارس للعلم ، وبها من تجَّار المغرب كثيرٌ يدخلون للتجارة فيُصيبون الخصبَ والأمنَ وكثرةَ المتاجر فيشترون بها

خدَماً للتسرّي ، ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة .

والإماء فيها قد جعل الله فيهنَّ من الخصال الكريمة في خَلْقهنَّ وخُلُقِهنَّ فوق المراد : من ملاسة الأبدان ، وتفتّق السواد ، وحسن العينين ، واعتـــدال الأُنوف ، وبياض الأسنان . وطيب الروائح .

(شرح مقامات الحريري –
نقلاً عن الاستقصا ٥ / ٩٩ – ١٠٠)

ياقوت الحموي

برهان

(المتوفى سنة ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م)

غانة

بعد الألف نون .

كلمة عجمية لا أعرف لها مُشاركاً من العربية . وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع اليها التجار ، ومنها يدخل في المفازات الى بلاد التبر . ولولاها لتعذّر الدخولُ اليهم لأنها في موضع منقطع عن الغرب عند بلاد السودان فمنها يتزوّدون اليها . وقد ذكرتُ القصة في ذلك في التبر .

(معجم البلدان . مادة « غانة »)

التِبْر

بلاد من بلاد السودان تعرف ببلاد التبر ، واليها يُنسب الذهبُ الخالص ، وهي في جنوب المغرب . تسافر التجار من سِجِلْماسة الى مدينة في حدود السودان يُقال لها غانة . وجهازهم الملح ، وعقد خشب الصنوبر — وهو من أصناف خشب القطران إلّا أنَّ رائحته ليست بكريهة ، وهو الى العطرية أميلُ منه الى الزفر — ، وخرز الزجاج الأزرق ، وأسورة نحاس أحمر ،

وحلق ، وخواتم نحاس لا غـــير . ويحملون منها الجمال الوافرة القويّة أوقارها ، ويحملون الماء من بلاد لمتونة ـــ وهم الملثّمون ، وهم قوم من بربر المغرب ـــ في الروايا والأسقية ويسيرون فيرون المياه فاسدة مهلكة ، ليس لها من صفات المـــاء إلّا التميّع ، فيحملون الماء من بلاد لمتونة ويشربون ويسقون جمالهم ، ومن أول ما يشربونها تتغيّر أمزجتهم ويسقمون ، خصوصاً من لم يتقدّم له عادةٌ بشربه ، حتى يصلوا الى غانة بعـــد مشاقّ عظيمة . فينزلون فيها ويتطيّبون ، ثم يستصحِبون الأدلّاء ، ويستكثرون من حمل المياه ، ويأخذون معهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين أرباب التِبر . فيمرُّون بطريقهم على صحارى فيها رياح السموم تنشّف المياه داخل الأسقية ، فيتحيّلون بحمل الماء فيها ليرمقوا به ، وذلك أنهم يستصحبون جمالاً خالية لا أوقار عليها يُعطشونها قبل ورودهم على الماء نهاراً وليلا ، ثم يسقونها نَهْلاً وعَلاً الى أن تمتلىء أجوافها ، ثم تسوقُها الحُداةُ فإذا نشف ما في أسقيتهم ، واحتاجوا الى الماء نحروا جملاً ، وترنّقوا بما في بطنه ، وأسرعوا السير ، حتى إذا وردوا مياهاً أخر ملأوا منها أسقيتهم ، وساروا مجدّين بعناءٍ شديد حتى يقدموا الموضع الذي يحجز بينهم وبين أصحاب التبر . فإذا وصلوا ضربوا طبولاً معهم عظيمـــة

تسمع من الأفق الذي يُسامت هذا الصِنْفَ من السودان .

ويُقـــال إنهم في مكامن وأسراب تحت الأرض ، عُراة لا يعرفون ستراً كالبهائم ، مع أن هاؤلاء القوم لا يَدَعون تاجراً يراهم أبدا ، وإنما هاكذا تُنْقَلُ صفاتهم . فإذا علم التجّار أنهم قد سمعوا الطبل ، أخرجوا ما صحبهم من البضائع المذكورة ، فوضع كُلُّ تاجر ما يخصّه من ذلك ، كلّ صنف على جهة ، ويذهبون عن الموضع مرحلة ، فيأتي السودان ومعهم التبر فيضعون الى جانب كل صنف منها مقداراً من التبر وينصرفون . ثم يأتي التجار بعدهم ، فيأخذ كلّ واحد ما وجد بجنب بضاعته من التِبْر ، ويتركون البضائع وينصرفون بعد أن يضربوا طبولهم .

وليس وراء هـاؤلاء ما يُعلم . وأظنُّ أنه لا يكون ثمّ حيوانٌ لشدّة إحراق الشمس .

وبين هاذه البلاد وسجلماسة ثلاثة أشهر .

قـال ابن الفقيه : والذهب ينبُت في رمـل هاذه البـلاد كما ينبُت الجزر ، وإنه يُقطفُ عند بزوغ الشمس .

قال : وطعام أهلِ هاذه البـلادِ الذرة والحمّص واللوبيا . ولبسهم جلود النمور لكثرة ما عندهم .

(معجم البلدان ـ مادة « تبر »)

تكرور

براءين مهملتيْن

بلاد تنسب الى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب وأهلُها أشبه الناس بالزنوج .

(معجم البلدان . مادة « تكرور »)

القزويني

زكريا بن محمد

(المتوفى سنة ٦٨٢ هـ — ١٢٨٣ م)

هي بلاد كثيرة ، وأرض واسعة ، ينتهي شمالها الى أرض البربر وجنوبها الى البراري ، وشرقها الى الحبشة ، وغربها الى البحر المحيط .

أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها ، والحرارة بها شديدة جداً لأن الشمس لا تزال مسامتة لرؤوسهم . وأهلُها عُراة لا يلبسون من شدّة الحر . منهم مسلمون ومنهم كفّار .

أرضهم منبت الذهب ، وبها حيوانات عجيبة : كالفيل والكركدن والزرافة ، وبها أشجار عظيمة لا توجد في غيرها من البلاد .

وحدّثني الفقيه على الجنحاني المغربي أنّه شاهد تلك البلاد ، ذكر أنّ أهلها اتخذوا بيوتهم على الأشجار العظيمة من الأَرَضة ، وأنّ الأَرَضة بها كثيرة جداً . ولا يتركون شيئاً من الأثاث والطعام على وجه الأرض إلّا وأفسده الأَرَضة . فجميع قماشهم

وطعامهم في البيوت التي اتخذوها على أعالي الأشجار . وذكر رحمه الله ، أنه أوّل ما نزل بها نام في طرفٍ منها فما استيقظ إلّا والأرضة قد أكلت من ثيابه ما كان يلاقي وجه الأرض .

(آثار البلاد ، طبعة صادر ، بيروت ، ص ٢٤)

نكرور

مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة .

قال الفقيه على الجنحاني المغربي : شاهدتُها ، وهي مدينة عظيمة لا سور لها ، وأهلها مسلمون وكفّار ، والمُلْك فيها للمسلمين ، وأهلُها عُراة رجالهم ونساؤهم ، إلّا أشراف المسلمين فإنهم يلبسون قُمُصاً طولها عشرون ذراعاً ، ويحمل ذيلهم معهم خدمهم للحشمة . ونساء الكُفّار يسترن قُبلُهنّ بخرزات العقيق ، ينظمْنها في الخيوط ويُعلقنها عليهن ، ومن كانت نازلة الحال فخرزات من العظم .

وذكر أيضاً أن الزرافة بها كثيرة ، يجلبونها ويذبحونها مثل البقر . والعسل والسمن والأرز بها رخيصٌ جداً . وبها حيوان يُسمّى لبطي ، يؤخذ من جلده المِجَنّ ، يُبتاع كلّ مِجنّ

بثلاثين ديناراً ، وخاصيته أنَّ الحديد لا يعمل فيه البتة .

وحكيَ أنَّه لما كان بها إذ ورد قاصد من بعض عُمَّال الملك يقول : قد دهمنا سواد عظيم لا نعرف ما هو . فاستعدَّ الملك للقتال وخرج بعساكره . فإذا فيلة كثيرة جاوزت العدّ والحصر . فجاءت حتى تَرِدَ الماء بقرب تكرور . فقال الملك : احشوها بالنبل . فلم يكن يعمل فيها شيءٌ من النبال . وكانت تُخفي خراطيمها تحت بطنها لئلا يصيبها النبل . وإذا أصاب شيئاً من بدنها أمرَّت عليها الخرطوم ورمتْها فشربت الماء ورجعت .

(آثار البلاد ، ص ٢٦ – ٢٧)

غانة

مدينة كبيرة في جنوب بلاد المغرب ، متصلة ببلاد التِبْر . يجتمع اليها التجار ومنها يدخلون بلاد التبر ، ولولاه لتعذَّر عليهم ذلك . وهي أكثر بلاد الله ذهباً لأنها بقرب معدنه . ومنها يُحمل الى سائر البلاد . وبها من النمور شيءٌ كثير . وأكثر لباس أهلها جلد النمر .

وحكى الفقيه ابو الربيـــع الملتاني أنَّ في طريق غانة من سجلماسة اليها أشجاراً عظيمة مجوفة، يجتمع في تجاويفها مياه الأمطار فتبقى كالحياض. والمطر في الشتاء بها كثيرٌ جداً، فتبقى المياه في تجاويف تلك الأشجار الى زمان الصيف، فالسابلةُ يشربونها في مرورهم الى غانة، ولولا تلك المياه لتعذَّر عليهم المرور اليها. ويتخذون أقتاب البُعْران من خشب الصنوبر، فإن مات البعير فَقِتْبُ رحله يفي بثمنه.

(آثار البلاد، ص ٥٧)

بلاد النوبة

هي بلاد السودان في جنوب المغرب.

قال ابن الفقيه: هاذه البلادُ حرّها شديد جداً، أهلها بالنهار يكونون في السراديب تحت الأرض. والذهب ينبت في رمـــل هاذه البـــلاد كما ينبت الجزر بأرضنا. وأهلُها يخرجون عند بزوغ الشمس ويقطفون الذهب. وطعامهم الذرة واللوبيـــا، ولباسهم جلود الحيوانات، وأكثر ملبوسهم جلد النمر، والنمر عندهم كثير.

ومن سِجِلْماسة الى هاذه البـــلاد ثلاثة أشهر ، والتجار من سِجلماسة يمشون اليها بتعبٍ شديد . وبضايعهم الملح ، وخشب الصنوبر ، وخشب الأرز ، وخرز الزجاج ، والأسورة ، والخواتيم منـه ، والحلق النحاسية .

وعبورهم على براري معطشة ، فيها سمائم ، بماء فاسد لا يُشبه الماء إلا في الميعان ، والسمائم تنشّف المياه في الأسقية ، فلا يبقى الماء معهم إلا أيّاماً قلائل . فيحتالون بأن يستصحبوا معهم جمالاً فارغة من الأحمال ، ويعطّشونها قبل ورودهم الماء الذي يدخلون منه في تلك البراري ، ثم أوردوها عـــلى الماء نَهَلاً وعَلَلاً حتى تمتلىء أجوافها ، ويشدّون أفواهها كي لا تجتر فتبقى الرطوبة في أجوافها ، فإذا نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا الى الماء نحروا جملاً جَملاً ، وترمّقوا بمـــا في بطونها ، وأسرعوا بالسير حتى يردوا مياهاً أخرى وحملوا منها في أسقيتهم .

وهاكذا ساروا بعناء شديد حتى قدموا الموضع الذي يحجز بينهم وبين أصحاب التبر . فعند ذلك ضربوا طبولاً ، ليعلم القوم وصول القَفْـل . يُقـال إنهم في مكان وأسراب من الحرّ ، وعُراة كالبهائم لا يعرفون الستر ، وقيل يلبسون شيئاً من جلود الحيوان ، فإذا علم التجّـــار أنهم سمعوا صوت الطبل أخرجوا ما معهم من

البضائع المذكورة ، فوضع كل تاجر بضاعته في جهة منفردة عن الأُخرى ، وذهبوا ، وعادوا مرحلة . فيأتي السودان بالتبر ، ووضعوا بجنب كل متاع شيئاً من التبر وانصرفوا . ثم يأتي التجار بعدهم فيأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر ويترك البضاعة ، وضربوا بالطبول وانصرفوا ، ولا يذكر أحدٌ من هاؤلاء التجّار أنه رأى أحداً منهم .

(آثار البلاد ، ص ١٨ – ١٩)

ابن سعيد المغربي

علي بن سعيد

(المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ــ ١٢٨٦ م)

التكرور

وأول ما يلقاك على غربي النيل من مدائن التكرور مدينة قلنبوا ، وهي فرضة مشهورة ، وكانت في زمن أبي عبيد البكري للكفار ، وأما في عصرنا فما على شاطىء النيل من بلاد التكرور مدينةٌ إلا وقد دخلها الاسلام . وجميعها لسلطان التكرور ، وقاعدتها على جانبي النيل اسمها تكرور فيها عرّفوا . ونسلهم يقال له مفزارة ، وهم قسمان : قسم تحضّر ويسكن المدن ، وقسم رحالة في البوادي . وأكثر مجالاتهم في جانب النيل الشمالي ، ولهم في الجنوب قليل ، ومعظمه يستغرقه مجالات لمم . وهم كفار مهملون يأكلون الناس .

وموضوع مدينة تكرور حيث الطول ١٧ درجة والعرض ١٣ درجة و٣٠ دقيقة ، وصاحبها يسبى رقيق لمم ، وهم بواد ، ولهم في الكتب مدينة كالقرية اسمها مويه ، وفيها بيت دكاكيرهم ، وهي الاوثان ، وموضوعها على البحر المحيط حيث العرض ٦ درجات .

أول ما يلقاك منه مدينة بريسا وهي من أشهر بلاد التكرير ، وإن ضعف سلطان التكرور انفرد صاحب بريسا بنفسه ، والمسافرون يترددون اليها ، وهي آخر مدائن التكرور ، وعلى شمالي النيل حيث الطول ٢٢ درجة والعرض ١٣ درجة و ٣٠ دقيقة .

والغالب على لباس السودان التكرور وغيرهم الجلود . واذا احتشى الواحد منهم كان الجلد مدبوغا ، ومن خالط البيض وتخصّص اتخذ لباسه من الصوف والقطن وذلك مجلوب لهم . والغالب على مأكلهم أنواع القطانيا عصائد غير مختمرة ، والخبز عندهم لا يوجد إلا طُرفة عند الملوك المتخلقين بأخلاق البيض . وخيلهم قصار غير سابقة . وسلاحهم دبابيس الابنوس ، وهو كثير على النيل ومنه يحتطبون . ولهم قسى وسهام من القصب الشكري ، ومنه يصنعون أوتارها . والبقلة التي يسمّون بها سلاحهم كثيرة على شطوط نيلهم . وفي ديارهم شجر القطن . ولا يبنى بالحجر والآجر إلا ملك أو من اذن (ص ١٣) له في ذلك من أهل الرَّفه والتخصص ، وباديهم عُراةٌ : المسلمون منهم يسترون فروجهم بعظام أو جلود ، والكفار

لا يسترون .

وفي شرقي بريسا وشماليها يصب نهر لمى المنحدر من الجبل الذي في جنوب مدينة لمى . وهذه المدينة كالقرية تحت طاعة كفار لمم ، وأهلها يهود يعرف جنسهم في الرقيق ببلاد المغرب .

وجبل لمى امتداده من الغرب الى الشرق ٨ مراحل ، يخرج من طرفه الغربي نهر لمى المذكور ، فيمر في عمائرهم حتى يصب في النيل . ويخرج من طرفه الشرقي نهر ملل ، ويتقوّس حتى يمر على مدينة ملل ، وهي من مدن الكفار المهملين . وعرض مدينة لمى ١٠ درجات ، وطول لمى على مسامت لطول بريسا . وطول ملل ٢٦ درجة ، ونهرها يصب في النيل في سمت مدينة درهم من مدن الكفار المهملين .

وهي في وسط المسافة التي بين لمى وملل .

في شرقي ما ذكر مصب نهر الهو ، وهو من الانهار التي ذكرها بطليموس ، ينحدر من جبل الهو الذي جنوبه خلف خط الاستواء ، وهذا الجبل رأسه حيث الطول ٣٢ درجة والعرض ٩ درجات خلف الخط ، فيمتد من هنالك الى أن يجوز الخط بدرجتين ودقائق ، ويخرج منه مع الخط شعبة طولها درجتان ، يخرج من رأسها الغربي النهر المذكور ويلتوي الشمال كالنون ثم

ينحدر الى النيل حيث الطول عن مدينة ملل درجتان و ٣٠ دقيقة .

وعلى شطي هذا النهر من مبتداه الى قريب مصبه مجالات نمنم ، وهم اخوة لملم في النسب وأشباههم في الافعال ، وفي شرقيه على أميال ، جبل سامقدي كبيرٌ مشرف ، فيه عقاقير ونبات من منافع تلك البلاد ، ويأوى اليه خلق من كفرة السودان المهملين المعروفين بسامقدي وبهم عرفت مدينة سامقدي . وهي في رأس هذا الجبل حيث الطول ٣٠ درجة والعرض ٨ درجات .

ومدينة غانة على ضفتي النيل ، تقع من هذا الجزء حيث الطول ٢٩ درجة والعرض ١٠ درجات و ١٥ دقيقة ، وبها يحلُّ سلطان بلاد غانة . وهو من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما . وله تبرة كبيرة فيها نَصْبٌ يربط فيه فرسه ويفخر بذلك على سائر ملوك السودان . وهو كثير الجهاد للكفار وبذلك عرف بيته .

وفي شرقي مدينته جزيرة التبر ، رأسها الغربي حيث الطول ٣١ درجة و ٣٠ دقيقة ، ورأسها الشرقي حيث الطول ٣٦ درجة و ٣٠ دقيقة ، ووسطها حيث العرض في سمت غانة وضعها درجتان ، وفي هذه الجزيرة يجدون التبر الكبير يبصُّ بالنيل اذا حسرت المياه الزائدة عن رملها .

وعلى هذه الجزيرة مدن مشهورة معجمة منها مدينة سمغارة

وهي على الذراع الشمالي في آخر هذا الجزء . وأشهر ما في هذا الجزء بعد غانة من مدن التِبْر غيارو ، وهي على خليج يخرج من جنوبي نيل الجزيرة حيث الطول ٣٤ درجة والعرض ١٥ درجة ، وعن جنوبي نيل غانة مجالات تمنم المتقدمة الذكر ، وعن شماليه مجالات ونقارة ، وهم سودان البلاد ، وقد فشا فيهم الاسلام .

الجزء الثالث من الاقليم الاول

أول ما يلقاك منه جبل ثلا ، رأسه الجنوبي في بحيرة كوري التي يخرج منها النيل ، ورأسه الشمالي يخرج منه نيل غانة ، وفي شرقيه بلاد كوكو ، وهي منسوبة الى مدينة صاحب البلاد ، وهو من كفار السودان ، وجبل كَوْكَوْ يضرب به المثل ، وهو يُقابل من غربيه مسلمي غانة ، ومن شرقيه مسلمي الكانم ، ومدينة كوكو في شرقي النهر المنسوب اليها ، حيث الطول ٤٤ درجة والعرض ١٠ درجات و ١٥ دقيقة . ومنبع نهر كَوْكَوْ المغرب عن النيل من جبل مقورس ، وهو من الجبال التي ذكرها بطليموس ، حده الشمالي حيث الطول ٤٣ درجة و ٣٥ دقيقة ، والعرض خارج عن الاقليم الاول الى الثاني ، ويتصل بـــه جبل بدي المتصل ببحيرة

كوري التي يخرج منها النيل . وقد قيل إن نهر كَوْكَوْ مادته من بحيرة كوري ومن نيل غانة ، وإنه يغوص منه ماء كثير في هذا الجبل ، ثم يخرجُ منه نهر كوكو ، ويمرّ شماليها مسامتاً لنيل غانة حتى يغوص في رمال ودهاس في الجزء الثاني مسامتا لوسط جزيرة التبر ، وعليه مجالات كوكو في شطيه ، وهم عُراة مهملون . وفي طرفه الغربي مجالات بغامة ، وهم برابر سود من نوع كوكو . وبين كوكو ومدينة بدى التي يخرج من جنوبيها نيل غانة ٤ درجات وخروجه . حيث الطول ٤٨ درجة والعرض ٦ درجات و ٣٠ دقيقة .

قال ابن فاطمة : فيكون مسافة جريته من بحيرة كوري الى البحر المحيط بحساب تعرّجاته ٣٠٠٠ ميل .

في هذا الجزء الثالث بحيرة كوري التي يخرج منها نيل مصر ونيل مقدشو ونيل غانة ، وقد تقدم انحدار انهار البطيحتين اليها عند مماسة خط الاستواء وصعودها فوق الخط دائر على ٣٠ دقيقة ، يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً ، وطولها ١٠٠٠ ميل ، ورأسها المشرقي حيث الطول ٥١ درجة ، وآخرها المغربي مع خط الجزء الثالث ، وسعها عند الرأس ٩ درجات و ٣٠ دقيقة . ثم تتّسع قليلاً قليلاً على ما رسم الى ان يكون وسع وسطها ٤٥٠ ميلاً ويكون وسع

ذيلها ٣٦٠ ميلاً .

قال ابن فاطمة : ولم أر مَنْ رأى جانبها الجنوبي ، وإنما يركبها الكانميون وجيرانهم ممن لقيناه بالجانب الشمالي .

ويحدق بها من جميع جهاتها أمم طاغية من السودان الكفرة الذين يأكلون الناس . وأكثر هاؤلاء الذين نذكرهم ، فسكان الجانب الشمالي : منهم بدى ، ومدينتهم تعرف بهم ، ومن تحتها يخرج نيل غانة ، ومجالاتهم حولها ، ويجاورهم من الجانب الغربي جابي ، وهم الذين يبردون أسنانهم ، وإذا مات لهم ميِّت دفعوه إلى جيرانهم يأكلونه ، وكذلك يفعل معهم جيرانهم ، وعلى جنوبى البحيرة انكزار ، وعلى شرقيها كوري الذين تنسب البحيرة اليهم .

وفي شرقي مدينة بدى من الكانم المسلمين مدينة جاجة ، وهي كرسي مملكة مفردة ، ولها مدن وبلاد ، وهي الآن لسلطان الكانم ، وهي موصوفة بالخصب وكثرة الخيرات ، وبها الطواويس والببغاء والدجاج الرقط ، والغنم البلق التي على دون الحمير الصغار ، ولها صور تخالف صور كباشنا ، والزرافات كثيرة في أرض جاجة .

وفي شرقي مدينتها على ركن البحيرة المغزا ، حيث دار الصناعة

لسلطان الكانم ، وكثيراً ما يغزو من هنالك في اسطوله بلاد الكفّار التي على جوانب هذه البحيرة ، ويقطع على مراكبهم ، فيقتل ويسبي . وموضوع مدينة جاجة ، حيث الطول ٤٨ درجة و ٢٠ ص ١٦ دقيقة ، والعرض ٧ درجات ، وفي سمت ركن البحيرة ، حيث الطول ٥١ درجة .

من مدن الكانم المشهورة ماناان وعرضها ١٣ ، وفي شرقيها وجنوبيها قاعدة الكانم جيمي ، حيث الطول ٥٣ درجة والعرض ٩ دقائق ، وفيها سلطان الكانم المشهور بالجهاد وأفعال الخير محمدي ، وهو من ولد سيف بن ذي يزن ، وكانت قاعدة جدوده الكفرة قبل أن يسلموا مدينة متان ، ثم أسلم منهم جده الرابع على يد فقيه ، ففشا الاسلام في بلد الكانم . ولهذا السلطان هنالك مثل سلطنة تاجوة ومملكة كوار ومملكة فزان ، وقد أيده الله وكثر نسله وعساكره ، والثياب تُحمل له من الحضرة التونسية ، وعنده الفقهاء .

(ابن سعيد ، كتاب بسط الارض في الطول والعرض .
نشرة خوان فرنيط خينس . تطوان ١٩٥٨ ، ص ٢٤ – ٢٨) .

أبو الفداء

اسماعيل بن علي

(المتوفى ٧٣٢ هـ — ١٣٣١ م)

تكرور

« . . . وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب (اي جنوب المغرب) ، فإنها أيضاً بـــلاد كثيرة لجنوس مختلفة من الحبش والزنج والنوبة والتكرور والزيلع وغيرهم ، فإنه لم يقع الينا من أخبار بلادهم إلّا القليل النادر » .

(تقويم البلدان . ط باريس ، ص ٢)

« . . ومن بلاد السودان قاعدة التكرور . قال ابن سعيد : وهي على جانبي النيل ...

قال : والتكرور قسمان . قسم حضر يسكنون المدن ، وقسم رحالة في البوادي . »

(تقويم البلدان . ص ١٥٣)

قـــال ابن سعيد : وأودغست يسكنها أخلاط من البربر المسلمين . والرياسة فيها لصنهاجة . قال في القانون : وهي في براري سودان المغرب .

قال ابن سعيد ايضاً : وغربي هذه المدينة صحراء يسر التي يقطعها المسافرون بين سجلماسة وغانة . وهي طويلة عريضة ، يُكابدون فيها شدّة العطش والوهج . وربما هبت ريح جنوبيّة عليهم فنشّفت مياههم بقربهم ، فهم يعدّون لذلك المياه التي تكون في بطون الابل ، يذبحونها ويشربون مياه أجوافها . وليس فيها ماء ولا مرعىٰ ، وأكثر ما يكون فيها اللّمط لصبره على العطش . وهو حيوان يشبه الغزال ، ولكنه أشدّ منه .

ووجدتُ صحراء يسر مكتوبة في كتاب الادريسي « نزهة المشتاق » صحراء نيسر بنون قبل الياء .

(تقويم البلدان ، ص ١٣٧)

ابن فضل الله العمري

بقلم

احمد بن يحيى

(المتوفى سنة ٧٤٩ هـ — ١٣٤٩ م)

مملكة مالي وما معها

اعلم أن هذه المملكة في جنوب نهاية المغرب متصلة بالبحر المحيط .

قاعدة الملك بها مدينة يني .

وهـــذه المملكة شديدة الحر ، قشفة المعيشة ، قليلة أنواع الأقوات ، وأهلُهـــا طِوالٌ في غاية السواد وتَفَلْفُل الشعور . وغالبُ طول أهلها من سوقهم لا من هياكل أبدانهم .

وملكُها الآن اسمه سليمان . أخذ السلطانُ موسى مَنْسا بيده ما كان قـد جمعه أخوه مما فتحه من بلاد السودان وأضافه إلى يـد الاسلام . وبنى المساجدَ والجوامعَ والمواذنَ ، وأقام به الجُمُعَ والجماعاتِ والأذانَ ، وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالكٍ رضي الله عنـــه ، وبقى بها سلطانَ المسلمين ، وتفقّه في الدين .

وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور ، ولو سمع هذا أنف منه ، لأن التكرور إنما هو إقليمٌ من مملكته . والأحبّ اليه أن يُقال صاحب مالي ، لأنه الاسم الأكبر ، وهو به أشهر .

وهذا الملك هو أعظم ملوك السودان المسلمين ، وأوسعهم بلاداً ، وأكثرهم عسكراً ، وأشدّهم بأساً ، وأعظمهم مالاً ، وأحسنهم حالاً ، وأقهرهم للأعداء ، وأقدرهم على إفاضة النعماء .

والذي تشتمل عليه هذه المملكة من الأقاليم .

غانة ، وزافون [١] ، وتُرْنكا ، وتكرور ، وسنغانة [٢] ، وبانبُغُو ، وزارفيرطا [٣] ، وتَنْبَرا [٤] ، ودرمودا ، وزاغا ، وكابرا ، وبراغوري [٥] ، وكوكو . وسكّان كَوْكَوْ قبائل يربا [٦] ، واقليم مالي الذي به قاعدة الملك مدينة يني .

---

١ ـ في الاصل « زاقول » وهو خطأ .

٢ ـ هي السنغال اليوم .

٣ ـ في الاصل « زرمطابيا » .

٤ ـ في الاصل « بترا » مصفحة .

٥ ـ لعلها برغو في الداهومي .

٦ ـ في الاصل « يربان » .

وكُلّ هذه الأقاليم مضافة اليه .

والاسم المطلق عليه في هذه الأقاليم كُلّها مالي قاعدة أقاليم هذه المملكة ، ذوات المدن والقُرى والأعمال أربعة عشر اقليماً .

حدثني الشيخ الثقةُ الثَبْتُ ابو عثمان سعيد الدُكّالي ، وهو ممن سكن مدينة يني خمسة وثلاثين سنة ، واضطرب في هاذه المملكة : أنها هي مربّعة ، طولُها أربعة أشهر أو أزيد ، وعرضها مثل ذلك . تقع جنوب مرّاكُش ودواخل برّ العدوة ، وجنوباً بغرب الى المحيط . وطولُها من مولي الى طورا وهي على المحيط . وجميعُها مسكونة إلّا ما قلّ . وأن في طاعة سلطان هاذه المملكة بلاد مفازة التبر ، يحملون اليه التبر في كلّ سنة ، وهم كفّارٌ هَمَجٌ ، ولو شاء أَخذَهم ، ولكنّ ملوك هذه المملكة قد جرّبوا أنه ما فَتَحَ أحدٌ منهم مدينةً من مُدُن الذهب ونشأ بها الاسلام ، ونطق بها داعي الأذان ، إلّا قلّ وجودُ الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم ، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفّار . وأنه لمّا صَحّ هذا عندهم على التجريب ، ابقوا بلاد التبر بأيدي أهلها الكفّار ، رضوْا منهم بِبَذْلِ الطاعة وحُمولٍ قُرِّرَتْ عليهم .

وليس في مملكة صاحب هذه المملكة مَنْ يُطلَقُ عليه اسم ملك إلّا صاحب غانة ، وهو كالنائب له وإن كان ملكاً .

وفي شمال بـــلاد مالي قبائلُ من البربر بيضٌ تحت حكم سلطانها ، وهم : ينتصر وشغراسن [1] ومديونة [2] ، ولمثونة . ولهم أشياخٌ تحكم عليهم ، إلا ينتصر فإنهم يتداولهم ملوكٌ منهم تحت حكم صاحب مالي .

وكذلك في طاعته قومٌ من الكُفَّار ، ومنهم مَنْ يأكلُ لحومَ بني آدم ، ومنهم مَنْ أسلم ، ومنهم مَنْ هو باقٍ على هـذا . وقد ذُكر هاذا في موضعه .

ومدينة يني ممتدَّة طولاً وعرضاً ، تكون طول بريد تقريباً . وعرضُها كذلك . لا يحيطُ بهـــا سور . وأكثرها متفرّقة . وللملك عدَّة قصور يستدير بها سورٌ محيط بها . وفرع من النيل يستدير بهـــذه المدينة من جهاتها الأربع . وفي بعضها يُخاضُ ويُمشىٰ فيه عند قلَّةِ الماء ، وفي بعضِها لا يُعْبَرُ إلَّا بالمراكب .

وبناء هذه المدينة بإيادٍ [3] من الطين ، مثل جدران بساتين دمشق . وهو أنْ يُبنىٰ تقدير ثُلُثَيْ ذراع بالطين ، ثم يترك حتى يجفّ ، ثم يُبنى عليه مثله ، ثم يُترك حتى يجفّ ، ثم يُبْنى عليه مثله ، هاكذا حتى يتناهىٰ .

---

١ ـ في الاصل « يسعراس » .
٢ ـ في الاصل « مدرصه » .
٣ ـ في الاصل غير منقوطة .

وسقوفها بالأخشاب والقصب ، وغالب سقوفها قبابٌ أو جلونات كالأقباء .

وأرضها ترابٌ مُرْمِل .

وشربُ أهلها من ماء النيل ، وآبارٍ منحفرة .

وجميع هاذه البلاد مخضرَّة نخيلة ، وجبالها ذوات أشجار بريَّةٍ مشتبكةٍ غليظة السوقِ الى غاية يكون منها الشجرة الواحدةُ تُظلّ خمس مئة فارس .

وغالب أقواتهم الأرز ، والفوتى — وهو دقٌ مزغب يُدْرَسُ فيخرجُ منه شبيه حبّ الخرْدَل أو أصغر — وهو أبيض يُغسل ثم يُطحن ثم يُعْجَنُ ، ويؤكلُ .

وعندهم الحنطةُ ، وهي قليلة ، والذرة وفيها لهم قوتٌ وعليقُ خيلهم وطعم دوابهم .

وعندهم الخيلُ من نوعِ الاكاديش التتريَّة ، والبغالِ كُلُّها صِغار المقادير جداً . وكذالك كل دَابِّهم من البقر والغنم والحُمُرِ ليس يوجدُ منها إلَّا ذميمُ الخلق صغيرُ الجثَّة .

ويزرعُ عندهم شيءٌ اسمه القافى ، وهو قرون دِقاق تُدفن في الارض فتزكو حتى تصير غِلاظاً ، طعمُها شبيه بالقلقاس لكنَّه ألذُّ من القلقاس . وهو يُزرَعُ في الخلاء ، فإن اطَّلع الملكُ

على أنَّ أحـداً سرق شيئاً منه قطع رأسه وعلَّق مكانـه ما قطعه ، هاذه سُنَّةٌ عندهم يتوارثها كابرٌ عن كابر لا ترخصها مسامحة ولا تَنْفَعُ فيها شفاعة .

ويُزرعُ عنـدهم اللوبيـا ، والقَرْع ، واللّفْت ، والبَصَلِ ، والثوم ، والباذنجان ، والكرنب . لكن الباذنجان والكرنب قليل عندهم . وتطلع الملوخيا برِيَّة .

وعندهم من الفواكه البستانيـة الجميّز ، وهو كثير عندهم . وتطلع عندهم أشجار بريّة ذوات ثمارٍ مأكولة مُسْتَطابة فيها شجر يُسمَّى تادموت يحمل مثل القواديس وفي كبرها ، وفي داخلها شيءٌ شبيهُ دقيق الحنطة ، ساطع البياض ، مُزٌّ ، طعمُه لذيذ . ويُعمل منه إذا جفَّ في الحناء فيسوّده مثل النوشادر . وهو يُدّخر عندهم للأكل والحطاب .

ومنها شجرٌ يُسمَّىٰ زبيزور تخرج ثمرته مثل قرون الخرّوب ، يخرج منه شبيه بدقيق الترمس ، حلو ، لذيذ الطعم ، وله نوىٰ .

ومنها شجرٌ يُسمَّى قومي يحملُ شبيه السفرجل ، طعمه لذيذٌ ، يشبـه طعم الموز ، وله نوى شبيـــه بغضروف العَظْم يأكُـلُه بعضُهم معه .

وشجر اسمه قاريتي يحمل شبيه الليموه ، وطعمه شبيه طعم الكمثرىٰ ، بداخله نوىً مُلحم . يؤخذ ذلك النوىٰ وهو طريٌّ ويُطحَنُ فيخرجُ منه شبيه السمن ، ويحمد مثله . تُبيّضُ به البيوتُ ، وتوقَدُ منه السُرُج والقناديلُ ، ويُعمل منه صابون . وإذا أُريد أن يُؤكَلَ ذلك الدهن يُحرق بتدبير ، وصورة تدبيره أن يوضع على نارٍ ليّنة ويُغطّىٰ ويُترَك الى أن يقوى غليانه ، ويبقىٰ الذي يدبّره يُسارقه مُسارقة في اختباره ، ويرضعُه بالماء قليلاً قليلاً مرّات ، وهو مُغطًى مُحترزٌ عليه الى أن يتناهىٰ على مقدار القوّة ، ثم يُترَكُ حتى يبرد ، ويُستعمل في المأكل كالسمن . ومتى فوجيء بكشف الغطاء فار وطلع وتصاعد الى السقف ، وربما انعقد منه نار فأحرقت الدار ، وربّما زاد فأحرقت البلد . وهاذا الدهنُ يحرقُ كلّ جلدٍ وُضع فيه ، ولا يحمله إلّا ظروف القرع .

ويوجد بها من الثمرات البريّة ما هو شبيه بكلّ الفواكه البستانيّة على اختلاف أنواعها ، لكنّها حريفة لا تُستَطابُ ولا يأكُلُها إلّا السودان ، وهي قوتُ كثير منهم .

وعندهم الملح يوجد بخلاف الجوانيّين والمسامتين بسِلجماسة . وما وراءها .

وفي صحاريهم الجواميسُ ، برّيةً ، تُصادُ كالوحش . وصورةُ

صيدهم لها أنهم يحملون من بطوسها الصغار وما يربى عندهم في البيوت ، فإذا أرادوا صَيْدَ الجواميس أخرجوا واحداً منها إلى موضع الجواميس لتراه وتقصده وتتألف به للجنسيَّة التي هي علة الضمّ . فإذا تألّفتَ بها رموها بنشّاب مسموم عندهم، ثم يقطعون مواضع السمّ ، وهو موضع الرمية وما حوله ، ثم يؤكل ما فيه .

وأغنامهم ومعزهم لا مَرْعى لها ، وإنما هي جلالات على القمامات والمزابل .

وتلدُ الواحدة من المعز في بطن واحد سبعة وثمانية .

وبصحاريهم أنواعُ الوحش من الحُمُر والبقرِ والغزلان والنعام وما يجري مجراها . والفِيَلَةُ والآسادُ والنمورُ ، وكلّها لا تؤذي إلّا مَنْ تعَرَّض لها أو تحرَّش بها ، وربَّما مَرَّ الرجلُ الى جانبها فلا تعترضه ما لم يفجئها .

وعندهم وحشٌ يُسمَّى تُرُمّى بضم التاء المثنّاة والراء المهملة وتشديد الميم ، ولا يكون إلا خنثى له ذكرٌ وفَرْجٌ مولّد بين الذئاب والضباع . قال الشيخ سعيد الدُكّالي : رأيتُه بعيْنيّ ، وهو خُنثى ، قدر الذئب ، متى وَجَدَ في الليل آدَميًّا صغيراً أو مُرَاهِقاً خطَفَه وأكله ، فأمّا بالنهار فلا يؤذي ، ولا له إقدامٌ على الرجل التَام . وهو ينعر كنُعار الثور إذا أراد النطاح . وهو

ينبش الموتىٰ ويأكلُهم . وأسنانُه كأسنان التمساح مصفّحة ، ذكرٌ في أنثى .

وفي مجرى النيل عندهم تماسيحُ كبارٌ هائلةُ المقادير ، يوجد منها ما يكونُ طوله عشرة أذرع وأزيد . قال الدُكّالي : وصِيدَ منهـــا تمساحٌ وُضِعَ في قلبه رمحٌ طولُه عشرة أشبار . ومرارته سُمّ ، وهي تُحمل الى خزانة ملكهم .

قال : والفيلُ يُصادُ في بـــلاد الكُفّار المجاورة لهم بالسحر حقيقةً لا مجازاً .

والسحرُ بهذه البلاد كلّها كثيرٌ الى الغاية ، وخصوصاً ببلاد غانـة ، وفي كلّ وقتٍ يتحاكمون عند ملكهم بسببه ، ويُقال : إنَّ فلاناً قتل بالسحر أخي أو ولدي او اَبنتي أو أختي . ويُحكم على القاتل بالقصاص ، ويُقتَلُ الساحرُ .

وسلطان هذه المملكة يجلس في قصره على مصطبة كبيرة تُسمَّى عندهم بَنْبىٰ ، بالباء الموّحدة ، والنون ، والباء الموّحدة ، على دكّة كبيرة من ابنوس كالتخت ، يكون قدر المجلس العظيم المتّسع ، عليها أنيابُ الفِيَلَةِ في جميع جوانبها ، الناب الى الناب . وعنده سلاحُه من ذهب كله : سيفٌ ومِزْراق [1] وتركاش [2]

١ ـ المزراق : الرمح القصير ، ج مزاريق (المعجم الوسيط) .
٢ ـ لفظ فارسي ، معناه الجعبة او الكنانة التي توضع فيها السهام .

وقوسٌ ونشاب ، وعليـــه سراويلُ كبير مفصَّل من نحو عشرين نصفيَّة لا يلبسه أحد ، ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكاً من الترك وغيرهم ممن يُبتاع له من مصر ، بيد واحد منهم جتر [1] حرير عليه قبة ، وطائر من ذهب ، والطير صفة بازي يحمل على يساره ، وأمراؤه جلوس حوله من تحت سماطين يمينـــاً ويساراً ثم دونهم أعيانٌ من فرسان عسكره جلوس ، وبين يديه شخصٌ يغنّي له وهو سيَّافه ، وآخرُ سفيرٌ بينه وبين النـاس ، يسمى الشاعر ، وحولهم أناسٌ بأيديهم طبولٌ يدقّون بهـــا ، وبين يديه أناس يرقصون ، وهو يتفرَّج عليهم ويضحكُ منهم ، وخلفه صنجَقان منشوران ، وقُدامه فَرَسان مشدودان محصّلان لركوبه متى شاء .

ومَنْ عَطَسَ في مجلسه ضُرِب ضرباً مؤلماً ، ولا يُسامَحُ أحداً في هاذا ، وإنمـــا اذا جاء أحدهم العطسة انبطح على الأرض وعطس حتى لا يُعلم به .

وأما الملك فإنه إذا عطس ضرب الحاضرون على صدورهم .

ولباسُهم عمائم تحنّك مثل العرب . وقماشهم بيـاض من قطن

---

١ ـ هي المظلة التي تحمل فوق رأس الملك (صبح الاعشى ج ٤ ، ص ٧ ـ ٨) .

يُزرَعُ عندهم ، ويُنسج ، في نهايـــة الرفع واللطف ، يُسمى الكميصا . (١)

وزيّهم شبيه بزيّ المغاربة : جبابٌ ودراريع بلا تفريج . ويلبس أبطالُهم الفرسان أساورَ ذهب ، فَمَنْ زادت فروسيتـــه لبس معها أطواقاً من ذهب ، فإن زادت لبس معها خلاخلَ ذهب . وكلّما زادت فروسيةُ البطلِ منهم ألبسه الملك سراويلاً متسعاً . وكلما زادت فروسية الفارس يزيدون في كبر سراويله . وصفة سراويلاتهم ضيق أكمام الساقين وسعة السرج .

ويمتاز الملك في زيه بأنه يُرخى له عذبة بين يديه . ويكون سراويله من عشرين نِصفيَّة . لا يتجاسرُ على لبس هذا أحدٌ غيره .

وملوكُ هذه المملكة يُجلب اليها الخيلُ العِراب . وتُبذل الأثمانُ الكثيرة فيها .

ومقدارُ عسكره مئة الف نفر . منهم عشرة آلاف فارس فرسان خيّالة . وسائرهم رجالة لا خَيْلَ لهم ، ولا مراكب . والجمال عندهم موجودة ، ولا يعرف بها ركوب كور .

والشعيرُ عندهم معدوم بالجملة الكافية ، لا ينبت بها البتة .

١ـ هاذه الكلمة محرفة عن « القميص » العربية .

ولأُمراء هاذا الملك وجنده اقطاعـــات وإنعامات . مِنْ أكابرهم مَنْ يبلـغُ جملةُ ماله على الملك في كل سنة خمسين الف مثقال من الذهب . ويتفقدهم بالخيل والقماش . وهمته كلها في تجميل زيّهم ، وتصير مدنه .

ولا يدخل أحد دار هاذا الملك إلا حافياً ، كائناً مَنْ كان . فمن لم يخلع نعليه ساهياً كان أو عامداً قُتل بلا عفو .

وإذا قدم القـادمُ على هاذا الملك من أمرائه أو غيرهم أوقفه زماناً قُدّامه . ثم يُومي القادم بيده اليمنى مثل مَنْ يضرب الجوك (١) ببلاد توران وايران . فإذا أنعم على أحد انعاماً أو وعده بجميلٍ ، أو شكره على فِعْلٍ تمرّغ ذلك المُنْعَم عليه بين يديـــه من أول المكان الى آخره . فإذا وصل الى آخر ذلك المكان أخذ غلمان ذاك المنعم عليه أو مَنْ هو من أصحابه من رمادٍ يكون موضوعاً في آخر مجلس الملك مُعَدّاً هُناك دائماً لأجل مثل هاذا . فيذرّ في رأس المنعَمِ عليـه . ثم يعود متمرّغا الى أن يصير الى بين يديْ الملك . ويضربُ جوكاً آخر بيده كما تقدّم ، ثم يقدم .

١ـ الجوك او الجوكان ، اصلا ، المحجن الذي يضرب به الكرة ، ويعبر عنه ايضاً بالصولجان (صبح الاعشى ج ٥ ـ ص ٤٥٨). وانظر السلوك للمقريزي القسم الاول ص ٤٣٥ حاشية ١. ولعل العمري عني عن لعبة الكرة نفسها باسم أحد ادواتها .

وأما صورة هاذا المشبه بضرب الجوك أن يرفع الرجلُ يده اليمنى الى قريب أذنه ، ثم يضعها وهي قائمة منتصبة ، ويلقيها بيده اليسرىٰ فوق فخذه ، واليد اليسرى مبسوطة الكفّ لتلتقى مرفق اليمنىٰ مبسوطة الكف مضمومة الأصابع بعضُها الى جانب بعض كالمشط يماس شحمة الاذن .

وأهل هـــذه المملكة يركبون بالسروج العربيَّة ، وهم في غالب أحوالهم كأنهم منهم ، ولكنهم يبدأون في الركوب بالرجل اليمنى خلاف الناس جميعاً .

ومن عادتهم أن لا يُدْفَنَ عندهم ميتٌ إلّا إذا كان ذا قَدْرٍ وحشمة ، وإلّا فكُلُّ مَنْ كان سوى هاؤلاء ممن لا قَدْرَ لـه ، والفقراء والغرباء ، فإنه يُرمىٰ رمياً في الفلاة مثل ما يُرمى باقي الميتات .

وهي بلادٌ يُسرعُ فيهـــا فسادُ المدخورات ، وخصوصاً السمن فإنه ينتنُ ويجيف في يومين .

قلتُ : وليس هـــذا غريباً لأن أغنامهم جلالات تأكُل القُمامات والمزابل . وبلادهم شديدة الحرّ سريعة التحليل .

وملكُ هاذه المملكة إذا قَدِم من السفر يحمل عـــلى رأسه لَجْتر ، راكباً ، ويُنشر على رأسه عَلم ، ويضرب قدّامه الطبول

والطنابير والبوقات بقرونٍ لهم فيها صناعة محكمة .

ومن عادتهم أنه إذا عاد اليه أحد ممن بعث بـه في شُغُل أو مُهِمّ يسأله عن كلّ ما تمّ له من حالٍ ، من حين مفارقته الى حين عوده مفصّلاً .

والشكاوىٰ والمظالم تُنْهىٰ الى هاذا الملك فيفصلها بنفسه ، وفي الغالب لا يكتب شيئاً ، بل أمرُه بالقولِ غالبـــاً ، وله قُضاةٌ وكُتّابٌ ودواوين . هاذا ما حدّثني به الدُكّالي .

وحكى لي الأميرُ أبو الحسن عليّ بن أمير حاجب أنّه كان كثير الاجتماع بالسلطان موسى ملك هـــذه البلاد لما قدم مصر حاجّاً . وكان هو نازلاً بالقرافة ، وابن أمير حاجب والي مصر والقرافـة إذ ذاك ، واتحدت بينهما الصحبة . وأنّ هـاذا السلطان موسى حدّثه بكثير من أحواله وأحوال بـلاده ومَنْ يجاورُه من أمم السودان .

قال : ومما حدّثني به أن بلاده متسعةٌ اتساعاً كثيراً ، وهي متصلة بالبحر المحيط ، فتح فيها بسيفه وجنده أربعاً وعشرين مدينة ذوات أعمـــال وقُرى وضياع . وهي كثيرةُ الدواب من البقر والمعز والغنم والخيل والبغال ، وأنواع الطير الدواجن كالإوز والحمام والدجاج ، وأنّ أهل بلاده عددٌ كثير وجَمٌ غفير ، وهم بالنسبة

الى مَنْ جاوَرَهم من أُمم السودان المتوغلين في الجنوب كالشامة البيضاء في البقرة السوداء .

وفي مهادنته أهل بلاد الذهب ـــ وله عليهم القطيعة ـــ قال :

فسألتُه : كيف نباتُ الذهب ؟

فقال : يؤخذ عـــلى نوعين : نوع في زمان الربيـع ينبت عُقَيْب الأَمطـار في الصحراء ، وله ورقٌ شبيـه بالنخيل أُصوله التِبْر . والنوع الآخر يوجـد في جميع السنة في أَماكن معروفـة على ضِفاف مجاري النيـــل . فتحفر هناك حفائر فتؤخذ أُصول الذهب كالحجارة والحصىٰ . وكلاهما هو المسمَّى بالتبر ، والأَولُ أَفحلُ في العيار وأَفضَلُ في القيمة .

قال : وحدَّثني السلطان موسىٰ أَنَّ الذهب حمىً له ، يُجمعُ متحصِّله كالقطيعة إِلَّا ما يأخذه أَهلُ تلك البلاد منه عـــلى سبيل السرقة .

قلتُ : والذي قاله الدكّالي إِنما يُهادى بشيء منه كالمصانعة ، ويتكسَّب عليهم في المبيعات ، لأَن بلادهم لا شيء بهـا . وقول الدكّالي أَثبت .

قال ابنُ أَمير حاجب : وشعارُ هاذا السلطان أَصفرُ في أَرض حمراء تنشر عليه الأَعلام ، حيث يركب . وهي أَلوِيةٌ كبارٌ جداً .

وخدمةُ القادم عليه أو المُنْعَمِ عليه أن يكشف مقدَّم رأسه ، ويضربُ بيده اليمنىٰ جوكاً الى الأرض نحو ما يعملُ التتار ، فإذا احتاج الى أكثر من هاذه الخدمة تمرَّغ بين يديه .

قال ابنُ أمير حاجب : وأنا رأيتُ هاذا بالمشاهدة والعيان .

قال : ومن عادة هاذا السلطان أنه لا يأكلُ بحضور أحدٍ من الناس كائناً مَنْ كان ، بل يأكلُ دائماً وَحْدَهُ بمفرده .

ومِن عادة أهل مملكته أنه إذا نشأ لأحدٍ منهم بنتٌ حسناء قدَّمها له أَمَةً موطوءةً ، فيملكها بغير تزويج ، مثل ما مُلكت اليمين ، مع ظهورِ الاسلامِ بينهم وتمذهبهم بمذهب المالكيَّة .

قال ابن أمير حاجب : هاذا مع كون هاذا السلطان موسى كان متديّناً مُحافظاً على الصلاة والقراءة والذكر .

قال : فقلتُ له : إنَّ مثلَ هاذا لا يجوز ، ولا يحلّ لمسلمٍ شرعاً ولا نقلاً .

فقال : ولا للملوك ؟

فقلتُ : ولا للملوك . وسَلِ العلماء .

فقال : والله ما كنتُ أعلمُ . وقد تركتُ هاذا ، ورجعتُ رجوعاً كليًّا عنه .

قال ابنُ أمير حاجب : ورأيتُ هاذا السلطان موسى محبًّا للخير ، وأهلِه . وترك مملكته واستناب بها ولده محمدا ، وهاجر الى الله ورسوله فأدّىٰ فريضة الحج ، وزار النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم ، وعاد الى بلاده على أن يقرِّر لابنه الملك ، ويتركه له بالكُليَّة ، ويعودَ الى مكة المعظَّمة ، ويُقيم مجاوراً بها . فأتاه أجله رحمه الله تعالى .

قال ابنُ امير حاجب : وسألتُه إن كان له أعداء بينهم حروب ؟

فقال : نعم لنا عدو شديدٌ هم في السودان ، كالتتار لكم . وبينهم وبين التتار مناسبة من جهات أنهم وساع الوجوه ، فُطْسُ الأنوف ، يجيدون الرمْيَ بالنشَّاب ، وخيولهم أكاديش ، مُسقَّفة الأُنوف ، ولنا ولهم وقائع ، ولهم بأسٌ شديدٌ بإصابة رميهم بالنشَّاب ، وبيننا وبينهم نُوَبٌ ، والحروب بيننا تارات .

قلتُ : وقد ذكر ابنُ سعيد في « المغرب » طائفة الدمادم الذين خرجوا على أصناف السودان فأهلكوا بلادهم . وهم يُشبّهون بالتَتَر . وكان خروج الفريقين في عصرٍ واحد . انتهى كلامه في هاذا المعنى .

قال ابن أمير حاجب : سألتُ السلطان موسى كيف انتقلت اليه المملكة فقال :

نحن أهل بيت يتوارث الملك ، وكان الذي قبلُ لا يُصَدِّق أن البحر المحيط لا يُمكن الوقوف على آخره ، وأحبّ الوقوف على هذا ، وولع به ، فجهز مئين مراكب مملوءة من الرجال ، وأمثالهـــا مملوءة من الذهب والماء والزاد ، ما يكفيهم سنين ، وقال للمتقدمين فيها : لا ترجعوا حتى تبلغوا نهايته ، أو تنفد أزوادكم وماؤكم . فساروا ، وطالتْ مدَّةُ غَيْبتهم ، لا يرجع أحدٌ منهم ، حتى مضت مدة طويـــلة . ثم عاد مركبٌ واحدٌ منها . فسألنا كبيرهم عما كان من أمْرهم وخبرهم . فقال : نعم ، أيّها السلطان . إنّا سِرْنا زماناً طويلاً حتى عرض في لجّة البحر وادٍ له جريةٌ قوية ، وكنتُ آخر تلك المراكب ، فأما تلك المراكب فإنها تقدمت ، فلما صارت في ذلك المكان ما عادت ولا بانت ، ولا عرفنا ما جرى لها . وأما أنا فرجعتُ من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي .

قال : فأنكر عليه .

قال : ثم إنّ السلطان أعدّ ألفيْ مركب ، ألفاً له ولرجالٍ استصحبهم معه ، وألفاً للماء والزاد . ثم استخلفني وركب بمن معه البحر المحيط وسار فيـــه . وكان آخر العهد به وبجميع مَن معه . واستقلّ لي الملك .

قال ابن أمير حاجب : ولقد كان هذا السلطان موسى مدَّة

مقامه بمصر ، قبل توجُّهه الى الحجاز الشريف وبعده عـــلى نمط واحدٍ في العبادة والتوجّه الى الله عزّ وجل كأنه بين يديه لكثرة حضوره ، وكان هو وكلّ مَنْ معـــه على مثل هاذا ، مع حسن الزيّ في الملبس والسكينة والوقار . وكان كريماً جواداً كثير الصدقة والبرّ . خرج من بلده بمئـــة وسق من الذهب أنفقها في حجّته على القبائل بطريقه من بلاده الى مصر ، ثم بمصر ، ثم من مصر الى الحجـــاز الشريف ، في التوجّه والعود حتى احتاج الى القرض من مصر . فاستدان على ذمته من التجار بمكاسب كثيرة وافرة جعلها لهم ، بحيث حصل لهم في ثلاث مئة دينار سبع مئة دينار ربحاً ، ثم بعثها اليهم بالراجح .

قال ابن أمير حاجب : وبعث لي خمس مئة مثقال ذَهَباً على سبيل الافتقاد .

وأخبرني ابن أمير حاجب أنّ المعاملة في بلاد التكرور بالودَع ، وأنّ التجار أكثر ما تجلب لهم الودَع وتستفيد به فائدة جليلة . انتهى كلام ابن أمير حاجب .

قلتُ : وقد كان بلغني أول قدومي مصر وإقامتي بها حديث وصول هـاذا السلطان موسى حاجّاً ، ورأيتُ أهـل مصر لهجين بذكر ما رأوه من سعة انفاقهم . فسألت الأمير أبا العباس أحمد

ابن الحاكي المهمندار رحمه الله عنه، فذكر لي ما كان عليه هاذا السلطان من سعة الحال والمروّة والديانة وقال :

لما خرجتُ لملتقاه ، أعني من جهة السلطان الاعظم الملك الناصر أكرمني إكراماً بليغاً . وعاملني بأجمل الآداب ، ولكنه ما كان يكلمني إلّا بترجمان ، مع إجادة معرفته التكلم باللسان العربي . ثم إنه قدّم الى الخزانة السلطانية جملاً كثيرة من الذهب المعدني الذي لم يصغ وغير ذلك . وحاولته أن يطلع للقلعة ويجتمع بالسلطان فأبى عليّ وامتنع وقال :

أنا جئتُ لأحجّ لا لشيءٍ آخر . وما أُريدُ أخلط حجّي بغيره . وشرع في الاحتجاج بهاذا وأنا أفهم أنه يرى الحضور نقصاً عليه لما يضطرُّ اليه من تقبيل الأرض أو اليد . وبقيت أحاوله ، وهو يتعلّل ويعتذر . والمراسم السلطانية تتقاضاني في إحضاره . فما زلتُ به حتى وافق . فلما وصل الى حضرة السلطان قلنا له : قبّل الأرض . فتوقّف وأبى إباءً ظاهراً . وقال : كيف يجوز هاذا ؟ فأسرّ اليه رجلٌ عاقل كان معه كلاماً ما نعلمه . فقال : أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني . ثم سجد . وتقدّم الى السلطان . فقام له بعض قيام وأكرمه ، وأجلسه إلى جانبه . وتحادثا حديثاً طويلاً . ثم خرج السلطان موسى . فبعث اليه

السلطان بعدة من الخلع الكاملة له ولأصحابه ، ولكلّ مَنْ حضر معه ، وخيلاً مسرجة ملجمة له ولأعيان مَنْ معه . وكانت خلعته طَرْدَ وَحْش مقصَّب كبير ، بسنجاب مقندس مطرّز بزركش على مفرّج اسكندري ، وكلّوتة وزركش ، وكلاليب ذهب ، وشاش بحرور ، ورَقْم خليفتي ، ومنطقة ذهب مرصّعة ، وسيف محلّى ، ومنديل بذهب خزّ ، وأعلام ، وفرسيْن ، مسرّحين ملجمين بمراكب مصل محلاّة . وأجرى عليه الانزال والإقامات الوافرة مدة مقامه . فلما آن أوان الحج بعث اليه بمبلغ كبير من الدراهم ، وجمالٍ ، وهجن خاص ، كاملات الأكوار والعدد لمراكبه ، وأتباعٍ لأصحابه ومَنْ حَضَرَ معه ، وأزوادٍ جمّة ، وركز له العليق في الطُرُق ، ورسم لأمراء الركب بإكرامه واحترامه .

ثم لما عاد تلقيتُه وأنزلْتُهُ ، واستمرّ على علوفاته وانزاله ، وبعث الى السلطان متبرّكاً من هدايا الحجاز الشريف ، فقبّله السلطان منه ، وبعث اليه بالخلع الكوامل له ولأصحابه ، والألطاف والغوالي من البزّ الاسكندري ، والأمتعة الفاخرة . ثم عاد إلى بلاده .

قال المهمندار : ولقد أفاض هاذا الرجل بمصر فَيْض الاحسان ،

لم يدع أميراً مقرّباً ولا ربّ وظيفة سلطانيّة حتى وصله بجملة من الذهب . ولقد كسب أهل مصر عليه وعلى أصحابه في البيع والشراء والعطاء والأخذ ما لا يُحصر ، وبدّلوا الذهب حتى أهانوا في مصر قدره ، وأرخصوا سعره .

قلتُ : ولقد صدق المهمندار ، فإنه حكى مثل هاذا غير واحد ، ولما مات المهمندار وجد الديوان فيما خلّفه آلافاً من الذهب المعدني مما أعطاه له ، باقياً على حاله في ترابه لم يُصَغْ .

وحدّثني خلقٌ من تجّار مصر والقاهرة عما حصل لهم من المكاسب والربح عليهم ، فإن الرجل منهم كان يشتري القميص أو الثوب والإزار وغير ذلك بخمسة دنانير وهو لا يسوىٰ ديناراً واحداً ، وكانوا في غاية سلامة الصدور والطمأنينة ، يجوز عليهم مهما حزر عليهم ، ويأخذون كلّ قول يُقال بالقبول والصدق ، ثم ساءت ظنونهم بأهل مصر غاية الاستياء لما ظهر لهم من غشّهم لهم في كلّ قَوْل ، وفي تزاحمهم المفرط عليهم في أثمان ما يُباع عليهم من الأطعمة والسلع ، حتى إنهم لو رأوا اليوم أكبر أئمة العلم والدين ، وقيل لهم إنه مصري امهنوه ، وأساؤا به الظن ، لما رأوا من سوء معاملتهم .

وحدّثني مُهنا بن عبد الباقي العجرمي الدليل أنه كان في صحبة

السلطان موسى لما حجّ ، وأنّه أفاض على الحجيج وأهلِ الحرمين سجالَ الاحسان . وكان في غاية التجمّل وحسن الزيّ في سَفَره هو ومَنْ معه ، وتصدّق بمالٍ كثير .

قال : ونابني منـــه نحو مائتي مثقالٍ من الذهب . وأعطى رفاقي جُملاً أخرى . وبالغ مُهَنّا في وصف ما رآه منه من الكَرم وسعة النفس ورفاهية الحال .

قلتُ : ولقد كان الذهب مرتفع السعر بمصر الى أن جاء اليهـــا في تلك السنة . كان المثقال لا ينزل عن خمسة وعشرين درهماً ، وما زاد عليها في الغالب . فمن يومئذ نزلت قيمتـــه ورُخص سعره ، واستمرّ على الرخص الى الآن لا يتعدّى المثقال اثنين وعشرين درهماً وما دونهـا ، هاذا من مدّة تُقارب اثنى عشر سنـة إلى اليوم لكثرة ما جلبوا من الذهب الى مصر وأنفقوه بها .

قلتُ : ولقـــد جاء كتاب من هاذا السلطان الى الحضرة السلطانيـة بمصر ، وهو بالخط المغربي في ورق عريض ، السطر إلى جانب السطر ، وهو يمسك فيـــه ناسوتاً لنفسه مـع مراعاة قوانين الادب ، كتبه على بعض يد خواصّه ممن جـــاء يحجّ ، ومضمونه السلام والوصيّة بحامله . وجهّز معـه على سبيل الهديـة

خمسة آلاف مثقال من الذهب .

وبلاد مالي وغانة وما معها يُسلك اليها من غربي صعيد مصر ، على الواحات ، في برٍّ مقفر يسكنه طوائف من العرب ، ثم من البربر ، الى عمران يتوصل منـــه الى مالي وغانة . وهي مسامته جبال البربر في جنوب مراكش وما يليهـــا في قفار طويلة ، وصحارٍ ممتدَّة موحشة .

وحدَّثني الفقيه العلاَّمة ابو الروح عيسى الزواوي قـــال : حدثني السلطان موسى منسى أن طول مملكته نحو سنة .

وبمثل هاذا أخبرني عنه ابن أمير حاجب .

وأمَّا ما قاله الدُكَّالي فقد تقدَّم ذكره ، وهو أنها أربعـــة أشهر طولاً في مثلها عرضاً . وقول الدُكالي أثبت ، لأن موسى منسى ربَّما عظَّم شأن ملكه .

وقال الزواوي : قـال لي هاذا السلطان موسى أنَّ عنده في مدينة اسمها زكرىٰ معدن النحاس الأحمر ، يجلب منـــه قضبان الى مدينة يني .

وقال : ليس لي في مملكتي شيءٌ ممكَّس سوى هاذا النحاس المعدني الذي يجلب ، فإنه يؤخذ منه خاصَّةً لا غـــير ، ونحن نبعثه الى بلاد السودان الكفَّار نبيعه وزن مثقال بثلثي وزنـه

من الذهب . فنبيع كل مئة من هاذا النحاس بستة وستين مثقالاً وثلثي مثقال من الذهب .

قال : وقال لي إنَّ عنده أمماً من الكفَّار في مملكته وهو لا يأخذ منهم جزية ، وإنما يستعملهم في استخراج الذهب من معادنه .

وقال لي : إن معادن الذهب تحفر الجورة عمق قامة أو ما يُقاربها ، فيوجد الذهبُ في جنباتها ، وربَّما يوجد مجتمعاً في سفل تلك الحفائر .

ومَلكُ هذه المملكة في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفَّار السودان ، وهم أُمم لا يستوعبهم الزمان .

قال لي الدُكالي : وأهل هاذه المملكة كثيرٌ فيهم السحر والسُم ، ولهم عناية بهما وتدقيق فيهما . وعندهم حشائش وحيوانات يركّبون منها السموم القتّالة ، ولا سيَّما من نوع من السمك يوجد عندهم ، ومرارات التماسيح فإنها سموم لا دواء لها .

وحدَّثني الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن الصايغ الأُموي قال : حدَّثني الوزير أبي عبد الله محمد بن راعنوه من أهل بلدنا المريّة بالأندلس ، وهو ثقة من الفقهاء العلماء قال : ركبتُ في مركب تجارة لي مع جملة تجّار من فم الابلابه وهو مدخل البحر

المحيط قاصدين بعض بلاد العدوة . فلعبت بنا الريح ، وتقاذفت بنا الأمواج إلى أن عدّينا المكان المقصود وتمادى بنا الحال الى أن عجزنا عن الإرساء الى البر ، ولم نزل على هاذا نتقلقل في المحيط الى الجنوب ، إلى أن دُفعنا في ظلمات ممتدة إذا أخرج الانسان يده لم يكد يراها . وأيقنّا بالهلاك لوقوعنا في الظلمات . ثم لطف الله تعالى بسكون الريح . فدارْنا المركب ووقفنا به ، وقصدنا ناحية البر إلى أن وَصَلْنا إلى البرّ وأرسيْنا به وخَرَجْنا نطلب الخلاص لأنفسنا . فرأينا أعلام مدينة فقصدناها ، فوجدنا بهـــا أمة من السودان لمَّا رأونا بيضاً عجبوا منَّا واعتقدوا أنّا صبغنا جسومنا بالبياض ، فحكّوا جسومنا بالليف ، فلما ظهر لهم أنه خلقة بقي كل واحد منهم يتعجَّبُ ، ويتحدّثون بذالك بعضهم مع بعض . فأقمنا عندهم فوجدنا غالب أكلهم لحم الثعابين والحيّات . وهي كثيرة في أرضهم جداً يتصيّدونها ويأكلون لحومها ، ليس بأرضهم نبات ولا مرعى ، فأقمنا عندهم مدّة حتى خرج منهم أناسٌ الى بلاد مجاورة لهم في بعض أشغالهم ، فخرجنا معهم . ثم تنقلنا من مكان إلى مكان إلى أن وصلنا إلى برّ العدوة .

وحدّثني ابو عبد الله بن الصايغ أن الملح معدوم في داخل بلاد السودان . فمن الناس من يغرّر ويصل بـــه الى ناس منهم

يبذلون نظير كلّ صبرة ملح مثله من الذهب .

قال : وحُدِّثتُ أن من أمم السودان الداخلة مَنْ لا يظهر ، بل إذا جاء التجار وضعوا الملح ثم غابوا فيضع السودان ازاءه الذهب . فإذا أخذ التجّار الذهب أخذوا هم الملح .

وحكى لي عيسى الزواوي قال :

حُدِّثتُ أنَّ رجلاً دخل بملح ووصل إلى مدينةٍ من مدن كُفَّار السودان ، قال : فأهديتُ إلى ملكها شيئاً من الملح فقبله ، وبعث إليَّ بجاريتين من أحسن السودان صورةً . ثم حضرتُ عنده بعد أيام فقال : بعثنا اليك بتلك الجاريتين فاذبحهما وكُلْهما . فإنَّ لحمهما أطيب ما يؤكل عندنا ، فلأي شيء ما ذبحتهما ؟

فقلتُ : ما يحلُّ هاذا عندنا .

فقال : فأيّ شيء تأكل ؟

قلتُ : لحم البقر والغنم .

فبعث ببقرٍ وغنم .

قال : وحدثتُ أيضاً أن في بلاد هاؤلاء السودان جبلاً عالياً لا يمكن الصعود اليه ، فيه أنواع من الفواكه والثمار ولا سبيل لهم اليها إلّا بما ألقت الرياحُ اليهم مما يتساقط من أوراقها وثمارها .

قلتُ : ولم يذكر هاذا عن بلاد الكُفار ، وإن كان ليس من شرطنا ، لكنّي ذكرتُه لغرابته ، وزيادة فائدة ، ولأنه يتعلّق ببلاد السودان . وأما ما أقوله فهو أنه كثُر القولُ عمّن يأكلُ من السودان لحومَ الناس ، وهم الذين بلادُهم موغلة في غاية الجنوب ومنهم من الزنج .

(ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، مخطوطة دار الكتب بالقاهرة)

ابن بطوطة

محمد بن ابراهيم

(المتوفى ٧١٩ هـ — ١٣٧٧ م)

في الطريق الى مالي

ولما عزمتُ على السفر الى مالّي ، وبينها وبين ايوالاتن مسيرةُ أربعة وعشرين يوماً للمُجدّ ، اكتريتُ دليلاً من مسوفة ، إذ لا حاجة الى السفر في رُفقةٍ لأَمْنِ تلك الطريق ، وخرجتُ في ثلاثة من أصحابي .

وتلك الطريق كثيرة الأَشجار ، وأشجارها عاديَّة ضخمة ، تستظلّ القافلة بظلّ الشجرة منهـا ، وبعضُها لا أغصانَ لهـا ولا ورق ، لكن ظلّ جسدها بحيث يَستظلّ بـه الانسان ، وبعضُ تلك الأَشجار قد استأْسَنَ داخلها واستنْقَعَ فيه ماءُ المطر ، فكأنها بئر ، ويشربُ الناسُ من المـاء الذي فيهـا . ويكون في بعضها النحلُ والعسلُ فيشتاره الناس منها . ولقد مررتُ بشجرة منهـــا فوجدتُ في داخلها رجلاً حائكاً قـــد نَصبَ بها مرمَّته وهو ينسج . فعجبتُ منه .

قال ابن جُزَيّ : إن ببلاد الأَندلس شجرتين من شجر

القسطل في جوْف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب. إحداهما بسَنَد وادي آش ، والآخرى ببشَّارة غرناطة .

وفي أشجار هـذه الغابة التي بين ايوالاتن ومالّي ، ما يُشبه ثمرة الإجّاص والتفّاح والخوخ والمشمش ، وليست بها . وفيهـا أشجار تثمر شبه القَقُّوس فإذا طاب انفلق عن شيء شبه الدقيق ، فيطبخونه ويأكلونه ويُباع بالأسواق .

ويستخرجون من هـاذه الأرض حبّات الفول فينقلونها ويأكلونها . وطعْمُها كطعم الحمّص المقلو ، وربّما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج ، وقَلَوْه بالغَرْتي . والغرتي هو ثمر كالإجّاص شديدُ الحلاوة ، مضرٌ بالبيضان إذا أكلوه ، ويُدَقّ عظمـه فيستخرجُ منه زيت ، لهم فيه منافع ، فمنها أنهم يطبخون بـه ، ويسرجون السُرُج ، ويقلون بـه هاذا الاسفنج ، ويدّهنون بـه ، ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدورَ ، كما تُسطح بالجير . وهو عندهم كثيرٌ متيسّر ، ويُحمل من بلدٍ الى بـلدٍ في قَرْع كِبارٍ تَسَعُ القرعةُ منها قدر ما تَسَعُه القُلّةُ ببلادنا .

والقَرْعُ ببلاد السودان يعظم ، ومنه يصنعون الجفان ، يقطعون القرعة نصفَيْن فيصنعون منها جَفْنَتَيْن ، وينقشونها نقشاً حسناً ، وإذا سافر أحدُهم يتبعُه عَبيدُه وجواريه يحملون فرشه

وأوانيه التي يأكلُ ويشرُب فيها وهي من القَرْع .

والمسافرُ بهذه البلاد لا يحملُ زاداً ولا إداماً ولا ديناراً ولا درهماً إنَّمـــا يحملُ قِطعَ الملح وحَلْي الزجاج الذي يسميه الناس النظم ، وبعضَ السلعِ العطريّة ، وأكثرُ ما يُعجبُهم منها القرنفُل والمصطكى وتاسرغنت ، وهو بخُورهم . فإذا وصل قرية جاء نساء السودان بأنلي ، واللبن ، والدجاج ، ودقيق النبق ، والأرْز ، والفوتي [1] ، وهو كحب الخردل يُصنع منه الكسكسو والعصيدة ، ودقيق اللوبياء ، فيشتري منهن ما أحب من ذلك ، إلّا أن الأرز يضرّ أكله بالبيضان والفوتي خيرٌ منه .

وبعد مسيرة عشرة أيام من ايوالاتن وصلنا إلى قرية زاغَري . وهي قريةٌ كبيرة يسكنُها تُجّار السودان ، ويَسَمّوْن «وَنْجراته» ، ويسكنُ معهم جماعةٌ من البيضان يذهبون مذهب الإباضيـة من الخوارج ، ويُسَمّوْن ضَغَنَغو . والسنيُّون المالكيُّون من البيض يسمّون عندهم تُوري . ومن هذه القرية يجلب أنلي الى ايوالاتن .

ثم سرنا من زَاغَرى ، فوصلنا الى النهر الأعظم وهو النيل [2] . وعليـــه بلدة كارْسَخو . والنيلُ ينحدر منها الى كابَرَة ، ثم الى زاغة . ولكابرة وزاغة سلطانان يؤدّيان الطاعـــة لملك ما لّي .

---

١ ـ في المطبوع « الفوني » . ومر بنا في نص العمري « الفوتي » .

٢ ـ يقصد نهر النيجر .

وأهلُ زاغة قدماء في الاسلام ، لهم ديانةٌ وطلبٌ للعلم . ثم ينحدر النيلُ من زاغة الى تُنْبُكْتُو ، ثم الى كَوْكَوْ — وسنذكرهما — ، ثم الى بلدة مولي ، من بلاد الليميين ، وهي آخر عمالة مالّي ، ثم الى يُوفي — وهي من أكبر بلاد السودان ، وسلطانهـا من أعظم سلاطينهم ، ولا يدخلها الأبيض من الناس لأنهم يقتلونه قبل الوصول اليها — ، ثم ينحدر منها الى بلاد النوبة ، وهم على دين النصرانية ، ثم الى دُنْقُلة — وهي أكبر بلادهم ، وسلطانها يُدعى بابن كنز الدين ، أسلم على أيام الملك الناصر — ثم ينحدر الى جنادل ، وهي آخر عُمالة السودان وأول عُمالة أسوان من صعيد مصر .

ورأيتُ التمساح بهـذا الموضع من النيل ، بالقرب من الساحل ، كأنه قاربٌ صغير . ولقد نزلتُ يوماً الى النيل لقضاء حاجة فإذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بيني وبين النهر . فعجبتُ من سوء أدبه وقلّة حيائه . وذكرتُ ذلك لبعض الناس فقال : إنما فعل ذلك خوفاً عليك من التمساح ، فحالَ بينك وبينه .

ثم سرنا من كارْسَخُو فوصلنا الى نهر صَنْصَرَة ؛ وهو على نحو عشرة أميال من مالّي . وعادتُهم أن يُمنع الناس من دخولها إلّا بإذن . وكنتُ كتبتُ قبل ذلك لجماعة البيضان

وكبيرهم محمد ابن الفقيـــه الجزولي ، وشمس الدين ابن النقويش المصري ، ليكتروا لي داراً . فلمـــا وصلتُ الى النهر المذكور جزتُ في المعدّيـة ، ولم يمنعني أحد ، فوصلتُ الى ما لّي حضرة ملك السودان .

فنزلتُ عند مقبرتها ، ووصلتُ الى محلَّة البيضان ، وقصدتُ محمداً ابن الفقيه ، فوجدتُه قـــد اكترى لي داراً إزاء داره ، فتوجهت اليهـا ، وجاء صهره الفقيه المقريء عبد الواحد بشمعـة وطعام ، ثم جـــاء ابن الفقيه اليّ من الغد ، وشمس الدين ابن النقويش وعليّ الزودي المراكشي ، وهو من الطلبـــة ، ولقيتُ القـاضي بما لّي عبـــد الرحمان جاءني ، وهو من السودان حاجٌ فاضلٌ له مكارُم أخلاق ، بعث اليَّ بقرةً في ضيافتـــه ، ولقيتُ الترجمان دوغا ، وهو من أفاضل السودان وكبارهم . وبعث اليّ بثور . وبعث اليَّ الفقيه عبـــد الواحد غرارتين من الفوتي ، وقرعة من الغرتي [1] . وبعث اليَّ ابن الفقيه الأرز والفوتي . وبعث اليَّ شمس الدين بضيافـة ، وقاموا بحقي أتمّ قيـــام . شكر الله حسن أفعالهم .

وكان ابن الفقيه متزوجاً ببنت عمّ السلطان . فكانت تتفقّدُنا

---

١ ـ فسر ابن بطوطة معنى الغرتي قبل قليل .

بالطعام وغيره . وأكلنا بعد عشرة أيام من وصولنا عصيدة تُصنع من شيء شبه القلقاس يُسمَّى القافي . وهي عندهم مفضَّلة على سائر الطعام ، فأصبحنا جميعاً مرضى ، وكُنَّا ستة ، فماتُ أحدُنا . وذهبتُ أنا لصلاة الصبح فغُشِي عليَّ فيها ، وطلبتُ من بعض المصريين دواء مُسهلا ، فأتى بشيء يُسمَّى بَيْدَر ، وهو عروق نبات ، وخَلَطَه بالانيسون والسُكَّر ، وَلَتَّه بالماء ، فشربتُه وتقيَّأتُ ما أكلتهُ مع صفراء كثيرة . وعافاني الله من الهلاك ولكني مرضتُ شهرين .

ذكر سلطانه مالي

وهو السلطان مَنْسىٰ سليمان . ومنسى معناه السلطان ، وسليمان اسمه .

وهو ملك بخيل لا يُرجى منه كبيرُ عطاء . واتَّفق أني أقمتُ هذه المدَّة ولم أره بسبب مرضي . ثم إنه صنع طعاماً برسم عزاء مولانا أبي الحسن ، رضي الله عنه ، واستدعى الأُمراء والفقهاء والقاضي والخطيب ، وحضرتُ معهم ، فأتوا بالربعات وختمِ القرآن ، ودعوا لمولانا أبي الحسن [1] ، رحمه الله ،

---

١ ـ أي ابي الحسن المريني صاحب المغرب .

ودعوا لمنسى سليمان . ولما فُرِغ من ذلك تقدّمتُ فسلّمتُ على منسى سليمان ، وأعلمه القاضي والخطيبُ وابنُ الفقيه بحالي ، فأجابهم بلسانهم . فقالوا لي : يقولُ لك السلطان : اشكر الله . فقلتُ : الحمدُ لله والشكر ، على كل حال .

ذكر ضيافتهم

ولما انصرفتُ بَعث اليَّ الضيافة فوُجّهتْ الى دار القاضي ، وبعثَ القاضي بها مع رجاله الى دارِ ابن الفقيه . فخرج ابن الفقيه من داره مُسْرِعاً حافي القدمين ، فدخل عليَّ ، وقال قم ! قد جاءك قماشُ السلطان وهديَّته . فقمتُ وظننتُ أنها الخِلع والأموال . فإذا هي ثلاثة أقراصٍ من الخبز ، وقطعةُ لحم بقريّ مقلوٍّ بالغرتي ، وقرعةٌ فيها لبنٌ رائب . فعندما رأيتُها ضحكتُ وطال تعجّبي من ضعف عقولهم ، وتعظيمهم للشيء الحقير .

ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك واحسانه اليَّ

وأقمتُ بعد بعث هذه الضيافة شهرين لم يصل اليَّ فيهما شيءٌ من قِبلِ السلطان . ودخل شهرُ رمضان . وكنتُ خلال ذلك أتردَّد الى المشوَر وأسلّم عليه ، وأقعدُ مع القاضي والخطيب .

فتكلمتُ مع دوغا الترجمان ، فقال : تكلّم عنده وأنا أُعبّر عنك بما يجب .

فجلس في أوائل رمضان ، وأقمتُ بين يديـــه وقلتُ له : إني سافرتُ بلاد الدنيا ، ولقيتُ ملوكها ، ولي ببلادِك أربعة أشهر ، ولم تُضفْني ولا أعطيتني شيئاً ، فماذا أقول عنك عند السلاطين ؟

فقال : إني لم أرك ، ولا علمتُ بك .

فقام القاضي وابنُ الفقيـه فردّا عليه ، وقالا : إنـه قد سلّم عليك ، وبعثتَ اليه الطعام .

فأمر لي عند ذلك بدارٍ أنزلُ بهـــا ، ونفقةٍ تُجْرىٰ عليّ ، ثم فرّق على القاضي والخطيب والفقهـاء مالاً ليلة سبـع وعشرين من رمضان ، يسمّونه الزكاة ، وأعطاني معهم ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثُلُثاً ، وأحسن اليّ عند سفري بمئة مثقال ذهباً .

ذكر جلوسه بقبته

وله قبةٌ مرتفعةٌ ، بابُها بداخل داره ، يقعدُ فيها أكثر الأوقات ، ولها من جهة المشْوَرِ طيقانٌ ثلاث من الخشب ، مغشّاةٌ بصفائح الفضّة ، وتحتها ثلاثٌ مغشّاة بصفائح الذهب ، أو هي فضة مذهبة ، وعليها ستور ملف .

فإذا كان يوم جلوسه بالقبّة رُفعت الستور ، فَعُلِم أنه يجلس ، فإذا جلس أُخرج من شباك إحدى الطاقات شرّابةُ حرير قد رُبط فيها منديل مصري مرقوم . فإذا رأى الناسُ المنديل ضُربت الأطبالُ والأبواق ، ثم يخرجُ من باب القصر نحو ثلاث مئة من العبيد في أيدي بعضهم القسيّ ، وفي أيدي بعضهم الرماح الصغار والدَّرَق ، فيقف أصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرةً ، ويجلس أصحاب القسيّ كذلك . ثم يؤتى بفَرَسَيْن مُسْرَجَيْن مُلجمَيْن ، ومعهما كبشان ، يذكرون أنهما ينفعان من العين .

وعند جلوسه يخرجُ ثلاثةٌ من عبيده مسرعين ، فيدعون نائبه قنجا موسى ، وتأتي الفرارّية ، وهم الأُمراء . ويأتي الخطيب والفقهاء فيقعدون أمام السلحدارية يمنةً ويسرة ، في المشْوَر ، ويقف دوغا الترجمان على باب المشْوَر ، وعليه الثيابُ الفاخرة من الزردخانة وغيرها ، وعلى رأسه عمامة ذات حواشٍ لهم في تعميمها صنعةٌ خاصة ، وهو متقلِّدٌ سيفاً غمْدُه من الذهب ، وفي رجليه الخفُّ والمهاميز ، ولا يلبس أحدٌ ذلك اليوم خفًّا غيره ، ويكون في يده رمحان صغيران أحدُهما من ذهب والآخر من فضّة ، وأسنَّتُهما من الحديد .

ويجلس الأجنادُ والولاةُ والفتيان والمسوّقةُ وغيرُهم خارجَ

المشْوَر في شارعٍ هناك متّسعٍ فيـــه أشجار ، وكلُّ فراري بين يديه أصحابُه بالرماح والقسيّ والأطبال والأبواق ، وبوقاتهم من أنياب الفيـــلة ، وآلات الطرب المصنوعة من القصب والقرع ، وتُضرب بالسطّاعة ، ولها صوتٌ عجيب . وكل فراري له كنانةٌ قـــد علّقها بين كتفَيْه ، وقوسُه بيـده ، وهو راكبٌ فرسه ، وأصحابه بين مُشاة وركبان ، ويكون بداخل المشْوَر تحت الطيقان رجلٌ واقف ، فمن أراد أن يكلم السلطان كلّم دوغا ، ويكلم دوغا لذلك الواقف ، ويكلم الواقفُ السلطانَ .

ذكر جلوسه بالمشور

ويجلس أيضاً في بعض الأيام بالمشْوَر ، وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمّونها البَنْي ، وتُفرش بالحرير وتُجعلُ المخادّ عليهـا ، ويرفعُ الشطر [1] ، وهو شبه قبـة من الحرير ، وعليه طائر من ذهب على قدر البازي .

ويخرجُ السلطانُ من باب في ركن القصر ، وقوسُه بيده ، وكنانتُه بين كتفيْه ، وعـــلى رأسه شاشيَّةٌ ذهب مشدودة بعصابة ذهب ، لها أطرافٌ مثل السكاكين رقاق ، طولُها أزْيَدُ من شبر .

---

١ ـ مرت هذه الكلمة عند العمري « الجتر » ، وتحرفت ايام ابن بطوطة .

وأكثرُ لباسه جبة حمراء موبرة من الثيـــاب الرومية التي تسمَّى المُطَنْفَس . ويخرجُ بين أيديه المغنون بأيديهم قنابرُ الذهب والفضَّة ، وخلفه نحو ثلاث مئة من العبيد أصحاب السلاح ، ويمشي مشياً رُوَيْداً ، ويُكثر التأني ، وربمـــا وقف . فإذا وصل الى البَنْبي وقف ينظرُ في الناس . ثم يصعدُ برفق كما يصعدُ الخطيب المنبر ، وعند جلوسه تُضرب الطبولُ والأبواق والأنفار ، ويخرج ثلاثةٌ من العبيد مسرعين ، فيدعون النائب والفراريـــة ، فيدخلون ويجلسون ، ويؤتىٰ بالفرسَيْن والكبشيْن معهما ، ويقف دوغـا على الباب ، وسائر الناس في الشارع تحت الأشجار .

ذكر تذلل السودان للملكهم وتقريبهم له ..

والسودان أعظمُ الناس تواضعاً لملكهم ، وأشدّهم تذلّلاً له ، ويحلفون باسمه فيقولون : مَنْسَىٰ سليمان كي . فإذا دعـا بأحدهم عند جلوسه بالقبة التي ذكرناها نزع المدعو ثيابه ولبس ثيابـــاً خَلِقَةً ، ونزع عمامتَه ، وجعل شاشية وسخة ، ودخل رافعاً ثيابه وسراويله الى نصف ساقـه ، وتقـدّم بِذِلّة ومَسْكنةٍ ، وضرب الأرضَ بمرفقَيْه ضرباً شديداً ، ووقف كالراكع يسمع كلامه .

وإذا كلَّم أحدُهم السلطان فرَدّ عليـــه جوابه كشف ثيابه

عن ظهره ، ورمى بالتراب على رأسه وظهره ، كما يفعلُ المغتسلُ بالماء ، وكنت أعجبَ منهم كيف لا تعمى أعينهم .

وإذا تكلَّم السلطانُ في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمائمهم عن رؤوسهم وأنصتوا للكلام . وربَّما قام أحدهم بين يديه ، فيذكر أفعاله في خدمته ويقولُ : فعلتُ كذا يوم كذا ، وقتلتُ كذا يوم كذا . فيصدّقه مَنْ علم ذلك . وتصديقُهم أن ينزع أحدُهم وَتَرَ قوسه ثم يُرسلها كما يفعل إذا رمىٰ ، فإذا قال له السلطان : صدقْتَ أو شكره ، نَزَع ثيابه وتَرّب . وذلك عندهم من الأدب .

قال ابن جُزَيّ : وأخبرني الصاحب العلاَّمةُ ابو القاسم بن رضوان ، أعزَّه الله ، أنه لما قدم الحاج موسى الونجراني رسولاً عن مَنْسَى سليمان الى مولانا أبي الحسن ، رضي الله عنه ، كان إذا دخل المجلس الكريم حمل بعضُ ناسه معه قفَّة من تُراب ، فيترّبُ مهما قال له مولانا كلاماً حسناً ، كما يفعل ببلاده .

ذكرُ فعله في صلاة العيد وأيامه

وحضرتُ بمالي عيديْ الأضحى والفطر . فخرج الناسُ الى المصلّى ، وهو بمقربة من قصر السلطان ، وعليهم الثيابُ البيضُ

الحسان ، وركب السلطانُ وعلى رأسه الطيلسان ، والسودان لا يلبسون الطيلسان الّا في العيد ، ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء ، فإنهم يلبَسونه في سائر الأيّام . وكانوا بعد العيد بين يديْ السلطان ، وهم يهلّلون ويكبّرون ، وبين يديه العلامات الحمْرُ من الحرير ، ونُصب عند المصلّى خباءٌ ، فدخل السلطانُ اليه وأصلح من شأنه ، ثم خرج الى المصلّى . فقُضيَتْ الصلاةُ والخطبة ثم نزل الخطيبُ وقعد بين يدي السلطان وتكلّم بكلام كثير . وهنالك رجلٌ بيده رمحٌ يُبَيّنُ للناس بلسانهم كلامَ الخطيب ، وذلك وعظ وتذكير ، وثناءٌ على السلطان ، وتحريضٌ على لزوم طاعته وأداء حقه .

ويجلس السلطان في أيام العيدين بعد العصر على البَنْي ، ويأتي السِلَحْداريّة بالسلاح العجيب من تراكش الذهب ، والفضة ، والسيوف المحلّاة بالذهب ، وأغمادُها منه ، ورماح الذهب والفضة ، ودبابيس البلّور ، ويقف على رأسه أربعة من الأُمراء يشرّدون الذباب ، وفي أيديهم حِلْيَةٌ من الفضة تُشبه ركاب السرج . ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة ، ويأتي دوغا الترجمان بنسائه الأربع وجواريه ، وهن نحو مئة ، عليهن الملابسُ الحسان ، وعلى رؤوسهن عصائبُ الذهب والفضّة ، فيها تفافيح

ذهب وفضّة ، ويُنْصَبُ لدوغا كرسيّ يجلس عليه ، ويُضرب بالآلة التي هي من قصب ، وتحتها قُرَيْعات ، ويُغني بشعر يمدح السلطان فيه ، ويذكر غزواته وأفعاله ، ويغني النساء والجواري معه ، ويلعبن بالنسيّ .

ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمانه ، عليهم جبابُ اللفّ الحُمْر ، وفي رؤوسهم الشواشي البيض ، وكلّ واحد منهم متقلّدٌ طبلَه يضربه ، ثم يأتي أصحابُه من الصبيان فيلعبون ويتقلّبون في الهواء ، كما يفعل السنديّ . ولهم في ذلك رشاقة وخفّة بديعة . ويلعبون بالسيوف أجمل لعب . ويلعب دوغا بالسيف لعباً بديعاً ، وعند ذلك يأمر السلطانُ له بالاحسان ، فيؤتى بصرّةٍ فيها مائتا مثقال من التبر ، ويُذكر له ما فيها على رؤوس الناس ، وتقوم الفرارية فينزعون في قسيّهم شكراً للسلطان ، وبالغد يُعطي كلُّ واحد منهم لدوغا عطاء على قدره . وفي كل يوم جمعة بعد العصر ، يفعل دوغا مثل هذا الترتيب الذي ذكرناه .

انشاد الشعراء للسلطان

وإذا كان يوم العيد وأتمّ دوغا لَعِبَه جاء الشعراء ، ويُسَمَّرُ الجلا ، وأحدهم جالي . وقد دخل كلُّ واحدٍ منهم في جوف

صورةٍ مصنوعةٍ من الريش تشبه الشقشاق ، وجُعل لها رأس من الخشب له منقارٌ أحمرُ كأنه رأس الشقشاق . ويقفون بين يديْ السلطان بتلك الهيئة المضحكة فيُنشدون أشعارهم . وذُكر لي أنَّ شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان : إنَّ هذا البَنْي الذي عليه ، جلس فوقه من الملوك فلان ، وكان من حسن أفعاله كذا ، وفلان وكان من أفعاله كذا ، فافعل أنتَ من الخير ما يُذكرُ بعدك ، ثم يصعد كبيرُ الشعراء على درج البَنْي ، ويضع رأسه في حجر السلطان ، ثم يصعد الى أعلى البَنْي فيضع رأسه على كتف السلطان اليمنىٰ ، ثم على كتفه اليُسرىٰ ، وهو يتكلّم بلسانهم ، ثم ينزل . وأخبرتُ أنَّ هذا الفعل لم يزل قديماً عندهم قبل الاسلام ، فاستمرُّوا عليه .

السلطان بتبرأ من الظلم

وحضرتُ مجلس السلطان في بعض الأيام ، فأتى أحدُ فقهائهم وكان قَدِمَ من بلاد بعيدة ، وقام بين يديْ السلطان وتكلّم كلاماً كثيراً . فقام القاضي فصدّقه ، ثم صدّقهما السلطان ، فوضع كلّ واحدٍ منهما عمامته عن رأسه ، وتَرّب بين يديه . وكان الى جانبي رجلٌ من البيضان فقال لي : أتعرف ما قالوه ؟

فقلتُ : لا أعرف .

فقال : إن الفقيه أخبر أنَّ الجراد وقع ببلادهم ، فخرج أحدُ صلحائهم الى موضع الجراد ، فهاله أمره ، فقال :

ـــ هذا جراد كثير .

فأجابته جرادةٌ منها وقالت :

ـــ إن البلاد التي يكثُر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها .

فصدَّقه القاضي والسلطان . وقال عند ذلك للأُمراء .

ـــ إني بريء من الظلم . ومَنْ ظلم منكم عاقبتُه . ومَنْ علم بظالم ولم يُعلمني به فذنوبُ ذلك الظـــالم في عُنقه ، واللهُ حسيبُه وسائله .

ولمَّا قال هـذا الكلام وضع الفرارِيَّـة عمائمهم عن رؤوسهم وتبرّؤا من الظلم .

حكاية عن عدل السلطان

وحضرتُ الجمعـة يوماً ، فقـام أحد التجَّار من طَلَبَة مَسُوقة ويُسمَّى بأبي حفص فقال :

ـــ يا أهل المسجد ! أُشهدكم أن مَنْسىٰ سليمان في دعوتي الى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

فلما قال ذلك خرج اليه جماعةُ رجال من مقصورةِ السلطان فقالوا له :

ـــ مَنْ ظلمك ؟ مَنْ أخذ لك شيئاً ؟

فقال :

ـــ منشاجو ايوالاتن ، يعني مُشْرِفُها ، أخذ مني ما قيمتُه ست مئة مثقال وأراد أن يُعطيني في مقابلته مئة مثقال خاصَّة .

فبعث السلطان اليـــه للحين ، فحضر بعد أيام ، وصرفهما للقاضي . فثبت للتاجر حقه ، فأخذه . وبعد ذلك عُزل المشرف عن عمله .

زوجة السلطان وبنات عمه

واتفق في أيّام إقامتي بمالّي أنَّ السلطان غضب على زوجته الكبرى بنت عمِّه المدعوة بقاسا . ومعنى قاسا عندهم الملكة . وهي شريكتُه في المُلْك على عادة السودان ، ويُذكر اسمُها مع اسمه على المنبر ، وسَجَنَها عند بعض الفرارية ، وولّى في مكانها زوجته الأخرى بنجو ، ولم تكن من بنات الملوك ، فأكثر الناسُ الكلامَ في ذلك ، وأنكروا فعله ، ودخل بناتُ عمِّه على بنجو يهنّئْنَها بالمملكة ، فجعلن الرماد عـــلى اذرعهن ولم يُتربْن

رؤوسهنّ . ثم إن السلطان سرّح قاسا من ثقافها ، فدخل عليها بناتُ عمّه يهنئنها بالسراح ، وتَرَبّن على العادة . فشكت بنجو الى السلطان ذلك . فغضب على بنات عمّه ، فخفْنَ منه ، واستجَرْنَ بالجامع ، فعفا عنهن واستدعاهن .

وعادتهنّ إذا دَخَلْنَ على السلطان أن يتجرّدْن عن ثيابهن ، ويدخلن عرايا . ففعَلْنَ ذلك ، ورضي عنهن ، وصِرْن يأتين باب السلطان غُدُوّاً وعَشِيًّا مدّة سبعة أيام . وكذلك يفعل كلّ مَنْ عَفَا عنه السلطان .

وصارت قاسا تركب كُلّ يوم في جواريها وعقيدها ، وعلى رؤوسهم التراب ، وتقف عند المشور متنقبةً لا يُرى وجهُها ، وأكثر الأُمراء الكلام في شأنها ، فجمعهم السلطان في المشور ، وقال لهم دوغا على لسانه :

إنكم قد أكثرتم الكلام في أمر قاسا ، وإنها أذنبت ذنباً كبيرا .

ثم أتى بجارية من جواريها مقيَّدة مغلولة ، فقيل لها :

ــ تكلّمي بما عندك .

فأخبرتْ أنّ قاسا بعثتْها الى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنه الى كنبرني ، واستدعَتْه ليخلع السلطان عن مُلكه ، وقالت له :

ـــ أنا وجميع العساكر طوعُ أمرك .

فلما سمع الأُمراء ذلك قالوا :

ـــ إن هذا ذنب كبير ، وهي تستحق القتلَ عليه !

فخافت قاسا من ذلك ، واستجارت بدار الخطيب ، وعادتُهم أن يستجيروا هنالك بالمسجد ، وإن لم يمكن فبدار الخطيب .

وكان السودان يكرهون مَنْسى سليمان لبخله .

وكان قبله منسى مَغَا .

وقبل منسى مغا منسى موسى ، وكان كريماً فاضلاً يحبّ البيضان ويُحسن اليهم . وهو الذي أعطى لأَبي اسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال . وأَخبرني بعض الثقات أنه أعطى لمدرك بن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد . وكان جدّه سارق جاطة أسلم على يدي جدّ مُدْرك هذا .

مطابة الحنة بئر أمثارها

أخبرني الفقيه مدرك هـذا أن رجلاً من أهل تلمسان ، يُعرف بابن شيخ اللبن ، كان قد أحسن الى السلطان مَنْسىٰ موسى في صغره بسبعة مثاقيل وثلث ، وهو يومئذ صبيٌّ غير معتبر . ثم اتفق أن جاء اليه في خصومةٍ وهو سلطان ، فعرفه

وأدناه منه حتى جلس معه على البنبي . ثم قرّره على فعله معه ، وقال للأُمراء :

ـــ ما جزاء مَنْ فعل ما فعله من الخيْر ؟

فقالوا له :

ـــ الحسنةُ بعشر أمثالها ، فأعْطِهِ سبعين مثقالا !

فأعطاه عند ذلك سبع مئـــة مثقال ، وكسوة ، وعبيداً ، وخدما . وأمره أن لا ينقطع عنه .

وأخبرني بهذه الحكاية أيضاً ولد ابن شيخ اللبن المذكور ، وهو من الطلبة يُعلِّم القرآن بمالّي .

ذكر ما استحسنته من أفعال السودان

فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم . فهم أبعـــدُ الناس عنـه ، وسلطانُهم لا يُسامح أحداً في شيء منه .

ومنها شمولُ الأمن في بلادهم ، فلا يخافُ المسافرُ فيها ولا ولا المقيم من سارق ولا غاصب .

ومنها عدمُ تعرّضهم لمال من يموتُ ببلادهم ، من البيضان ، ولو كان القناطيرَ المقنطرة . إنّمـــا يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقُّه .

ومنها مواظبتُهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات ، وضربهم أولادهم عليها ، وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجدة الزحام . أين يُصلّي لكثر

ومن عادتهم أن يبعث كلّ انسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحفظُه بها ، حتى يذهب الى المسجد . وسجّاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ، ولا ثمرَ له .

ومنها لباسُهم الثياب البيض الحِسان يوم الجمعة ، ولو لم يكن لأحدهم إلاّ قميص خَلَق ، غَسَلَهُ ونظّفه وتزيّن به الجمعة .

ومنها عنايتُهم بحفظ القرآن العظيم . وهم يجعلون لأولادهم القيود اذا ظهر في حقّهم التقصير في حفظه ، فلا تُفكُّ عنهم حتى يحفظوه . ولقد دخلتُ على القاضي يوم العيد ، وأولاده مقيّدون ، فقلتُ له :

ــ ألا تسرّحهم ؟

فقال :

ــ لا أفعل حتى يحفظوا القرآن .

ــ ومررتُ يوماً بشابٍ منهم حسن الصورة ، عليه ثياب فاخرة ، وفي رجله قيد ثقيل . فقلتُ لمن كان معي :

ــ ما فَعَلَ هذا ؟ أقَتَلَ ؟

ففهم عني الشاب وضحك ، وقيل لي :

ـــ إنما قُيّد حتى يحفظ القرآن .

ومن مساوىء أفعالهم كونُ الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات . ولقد كنت أرى في رمضان كثيراً منهن عـــلى تلك الصورة ، فإن عادة الفرارية أن يُفطروا بدار السلطان ، ويأتي كلّ واحد منهم بطعامه ، تحمله العشرون فما فوقهن من جواريه ، وهنّ عرايا .

ومنها دخولُ النساء على السلطان عرايا غَيْر مستترات ، وتعرّي بناته . ولقد رأيتُ في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مئة جارية خرجْنَ بالطعام من قصره عرايا ، ومعهن بنتان له ناهِدان ، ليس عليهما ستر .

ومنها جعلُهم التراب والرماد على رؤوسهم تأدّبا .

ومنهـا ما ذكرتُه من الأُضحوكة في إنشاد الشعراء ، ومنهـا أن كثيراً منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير .

ذكر سفري عن صالي

وكان دخولي اليهـا في الرابع عشر لجمادىٰ الاولى سنة ثلاث وخمسين ، وخروجي عنهـا في الثـاني والعشرين لمحرّم سنة أربـع

وخمسين . ورافقني تاجر يُعرف بأبي بكر بن يعقوب . وقصدنا طريق مسيمة . وكان لي جَمل أركبه لأنَّ الخيلَ غالية الأثمان يُساوي أحدُها مئة مثقال .

فوصلنا الى خليج كبير يخرج من النيل ، لا يُجاز إلّا في المراكب ، وذلك الموضع كثير البعوض ، فلا يمرّ أحد به إلاّ بالليل . ووصلنا الخليج ثلث الليل ، والليلُ مُقمر .

ذكر الخيل التي تكون بالنيل

ولمّا وصلنا الخليج رأيتُ على ضفّته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة ، فعجبتُ منها ، وظننتُها فِيَلَةَ لكثرتها هناك . ثم إني رأيتُها دَخلت في النهر . فقلتُ لأبي بكر بن يعقوب : ما هاذه الدوابّ ؟ فقال : هي خيل البحر ، خرجت ترعىٰ في البرّ ، وهي أغلظُ من الخيل ، ولها أعرافٌ وأذناب ، ورؤوسها كرؤوس الخيل ، وأرجلُها كأرجل الفيلة .

ورأيتُ هاذه الخيلَ مرّة أخرى لمّا ركبنا النيل من تُنْبُكتو الى كَوْكَوْ . وهي تعومُ في الماء وترفع رؤوسها ، وتنفخ . وخاف منها أهل المركب فقربوا من البرّ لئلا تغرقهم . ولهم حيلةٌ في صيدها حسنة ، وذلك أن لهم رماحاً مثقوبة قد جُعل في ثقبها

شرائط وثيقة ، فيضربون الفرس منها ، فإن صادفت الضربةُ رجله أو عنقَه انفذتـــه ، وجذبوه بالحبل حتى يصل الى الساحل ، فيقتلونه ويأكلون لحمه . ومن عظامها بالساحل كثير .

لا سارق في تلك البلاد

وكان نزولنا عند هـذا الخليـج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان ، حاجّ فاضـل ، يُسمَّىٰ فَربـا مغَا . وهو ممَّن حجَّ مع السلطان منسى موسى لما حجَّ .

أخبرني فَربا مغَا أنَّ مَنْسى موسى لما وصل الى هاذا الخليج كان معه قاضي من البيضان يُكنىٰ بأبى العبـــاس ، ويُعرف بالدُّكَّالي . فأحسن اليه بأربعة آلاف مثقال سُرِقَتْ له من داره . فاستحضر السلطان أمير ميمة ، وتوعَّده بالقتـل إن لم يُحضر مَنْ سَرَقهـا . وطلب الأميرُ السارق فلم يجـــد أحداً . ولا سارقَ يكون بتلك البـــلاد . فدخل دار القاضي واشتدَّ على خُدَّامه ، وهدَّدهم . فقالت إحدى جواريه : ما ضاع له شيءٌ ، وإنما دفنها بيـــده في ذلك الموضع . وأشارت له الى الموضع . فأخرجها الأمير وأتى بها السلطان ، وعَرَّفه الخبر . فغضب على القاضي ونفاه الى بـــلاد الكُفَّار الذين يأكلون بني آدم . فأقام عندهم

أربع سنين . ثم ردّه الى بلده . وإنما لم يأكله الكفّار لبياضه ، لأنهم يقولون : إنّ أكل الأبيض مُضرٌ . والأسودُ هو النضج بزعمهم .

تنبكتو

... ثم رحلنا الى بلدة ميمة فنزلنا على آبارٍ بخارجها .

ثم سافرنا منها الى مدينة تُنْبُكْتُو ، وبينها وبين النيل أربعة أميال . وأكثر سكّانها مسُّوفة أهلُ اللثام . وحاكمها يُسمى فربا موسى . حضرتُ عنده يوماً وقـــد قدم أحد مسّوفة أسيراً على جماعة ، فجعل عليه ثوباً وعمامة وسراولاً كلّها مصبوغة . وأجلسه على درقة ، ورفعه كبراء قبيلته على رؤوسهم .

وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق أبي اسحاق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطُوَيْجن . وبها قبر سراج الدين ابن الكويك أحدُ كبار التجار من أهل الاسكندرية .

وكان السلطان منسى موسى لما حجّ نزل بروضٍ لسراج الدين هذا ، ببركة الحَبَش ، خارج مصر . وبها ينزل السلطان . واحتاج الى مال فتسلّفه من سراج الدين . وتسلّف منـــه امراؤه أيضاً . وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضي المال . فأقام بمالّي .

فتوجّه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ، ومعه ابنٌ له ، فلما وصل تنبكتو أضافه ابو اسحاق الساحلي . فكان من القَدَرِ موته تلك الليلة . فتكلّم الناس في ذلك ، واتّهموا أنّه سُمّ . فقال لهم ولدُه : إني أكلتُ معه ذلك الطعام بعينه ، فلو كان فيه سُمٌّ لقتلنا جميعاً ، لكنه انقضىٰ أجله . ووصل الولد الى مالّي ، واقتضىٰ ماله ، وانصرف الى ديار مصر .

أمير عنده المدهش لابن الجوزي

ومن تُنْبكتو ركبتُ النيل في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة ، وكنا ننزل كلّ ليلة بالقرى فنشتري ما نحتاج اليه من الطعام والسمن بالملح وبالعطريّات وبحلي الزجاج ، ثم وصلت الى بلدٍ أُنسيتُ اسمه ، له أمير فاضلٌ ، حاجٌ ، يُسمّى فربا سليمان ، مشهور بالشجاعة والشدّة . لا يتعاطى أحدٌ النزع في قوسه . ولم أَر في السودان أطول منه ولا أضخم جسماً . واحتجتُ بهذه البلدة الى شيءٍ من الذرة ، فجئتُ اليه ، وذلك يوم مولد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم . فسلّمتُ عليه . وسألني عن مقدمي . وكان معه فقيه يكتب له ، فأخذتُ لوحاً كان بين يديه ، وكتبتُ فيه : يا فقيه ! قل لهذا الأمير إنّما نحتاج الى شيءٍ من الذرة

للزاد ، والسلام . وناولتُ الفقيه اللوح يقرأ ما فيه ، ويكلّم سرًّا الأمير في ذلك بلسانه . فقرأ جَهْراً . وفهمه الأمير . فأخذ بيدي وأدخلني الى مشوَره ، وبـــه سلاح كثير من الدَّرَق والقسيّ والرماح . ووجدتُ عنه كتاب المدهش لابن الجوزي ، فجعلتُ أقرأ فيه . ثم أتى بمشروب لهم يسمَّى الدَّقْنو ، وهو ماء فيـــه جريش الذرة مخلوط بيسير عسلٍ أو لبن ، وهم يشربونـه عِوَض الماء ، لأنهم إن شربوا الماء خالصاً أضرَّ بهم ، وإن لم يجدوا الذرة خلطوه بالعسل أو اللبن . ثم أتى ببطّيخٍ أخضر فأكلنا منه ، ودخل غـلام خماسيٌّ فدعاه وقـال لي : هذا ضيافتُك ، واحفظه لئلا يفرّ . فأخذتُه وأردتُ الانصراف ، فقال : أقمْ حتى يأتي الطعام . وجاءت الينا جارية له دمشقيَّة عربيَّـة فكلمتني بالعربي .

فبينا نحن في ذلك سمعنا صراخاً بداره . فوجّه الجارية لتعرف خبر ذالك . فعادت اليه فأعلمتْه أنَّ بنتاً له قد توفيت ، فقال : إنّي لا أحب البكاء ، فتعال نمشي الى البحر ، يعني النيل ، وله على ساحله ديار . فأتى بالفَرَس فقـــال لي : اركب . فقلتُ : لا أركبه وأنت ماش . فمشينـا جميعاً . ووصلنـا إلى دياره عـلى النيل . وأتى بالطعـــام . فأكلنا وودعتُه وانصرفت . ولم أر في السودان أكرم منه ولا أفضل . والغـلامُ الذي أعطانيه باقٍ

عندي الى الآن .

مدينة كوكو

ثم سرتُ الى مدينة كَوْكَوْ ، وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان ، وأكبرها ، وأخصبها . فيها الأرز الكثير ، واللبن ، والدجاج ، والسمك . وبها الفقّوس العناني الذي لا نظير له . وتعامُلُ أهلها في البَيْع والشراء بالوَدَع . وكذلك أهلُ ما لي . وأقمتُ بها نحو شهر .

وأضافني بها محمد بن عمر من أهل مكناسة ، وكان ظريفاً مزّاحاً فاضلاً . وتوفي بها بعد خروجي عنها . وأضافني بها الحاج محمد الوجدي التازي ، وهو ممّن دخل اليمن ، والفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان .

(رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٧٨ – ٦٩٦ .
طبعة صادر ، بيروت)

القلقشندي

برهان

احمد بن علي

(المتوفى سنة ٨٢١ هـ — ١٤١٨ م)

المملكة الخامسة

ممالك الجهة الجنوبية عن مملكة الديار المصرية

بلاد مالي ومضافاتها

ومالّي : بفتح الميم ، وألفٌ بعدها لام مشدّدة مفخّمة ، وياء مثناة من تحت في الآخر . وهي المعروفة عند العامة ببلاد التكرور .

قال في مسالك الأبصار : وهذه المملكة في جنوب المغرب ، متصلة بالبحر المحيط .

قال في التعريف : وحدّها في الغرب البحر المحيط ، وفي الشرق بلاد البرنو ، وفي الشمال جبال البربر ، وفي الجنوب الهمج .

ونقل عن الشيخ سعيد الدُكالي أنها تقع في جنوب مُرّاكُش ودواخل برّ العدوة جنوباً بغرب الى البحر المحيط .

قال في مسالك الأبصار : وهي شديدة الحرّ ، قشِفَةُ المعيشة ، قليلة أنواع الأقوات ، وأهلُها طِوال في غاية السواد ، وتفلفُل الشعور . وغالب طول أهلها من سوقهم لا من هياكل أبدانهم .

قال ابن سعيد : والتكرور قسمان : قسم حضر يسكنون المدن وقسم رحّالة في البوادي .

وقد حكى في « مسالك الأبصار » عن الشيخ سعيد الدُكّالي : أنّ هذه المملكة مربّعة . طولها أربعة أشهر أو أزيد ، وعرضها مثلُ ذلك ، وجميعُها مسكونة إلّا ما قلّ . وهذه المملكة هي أعظم ممالك السودان المسلمين .

وتشتمل على ثمان جُمل :

الجملة الأُولى

في ذكر أقاليمها وصدرها

وقد ذكر صاحب « العبر » أنها تشتمل على خمسة أقاليم ، كل اقليم منها مملكة بذاتها .

الاقليم الأوّل

مالي

وقد تقدَّم ضبطه . وهو اقليمٌ واسطة الأقاليم السبعة الداخلة في هـــذه المملكة . واقـع بين اقليم صوصو واقليم كوكو . صوصو من غربيّه ، وكوكو من شرقيّه .

وقاعدته على ما ذكره في « مسالك الأبصار » مدينة بَنْبي [1] .

قال في مسالك الأبصار : بالباء الموّحدة والنون ثم البـــاء الموحدة ايضاً .

قـال : وهي ممتدَّة تقدير طول بريد في عرض مثل ذلك ، ومبانيها متفرقـة ، وبناؤُها بالبالستا [2] . وهو أنـه يُبنىٰ بالطين بقدر ثلثي ذراع ، ثم يُترك حتى يجفّ ، ثم يُبنى عليه مثله ، وكذلك حتى ينتهي . وسقوفُها بالخشب والقصب ، وغالبُها قبابٌ أو جملونات كالأقباء . وأرضها تُراب مُرْمل ، وليس لها سور ، بل يستدير بها عدَّة فروع من النيل من جهاتها الأربـع ، بعضُها

---

١ ـ الصحيح الذي في مسالك الابصار أن قاعـدة مالي هي يني كما مر (ص ٤٣) أما بنبي الذي ضبطها العمري فهي اسم مصطبة السلطان (انظر ص ٥١)

٢ ـ لا توجد هذه الكلمة عند العمري . وعنده كلمة « اياد » .

يُخاض في أيام قلّة الماء ، وبعضها لا يُعبر فيه إلّا في السفن . وللملك عدة قصور ويدور بها سورٌ واحد .

الاقليم الثاني

صوصو

بصادين مهملتين مضمومتين ، بعد كُلٍّ منهما واو ساكنة . وربّما ابدلوا الصاد سيناً مهملة ، سُمّي بذلك باسم سكانه .

قال في « العبر » : وهم يسمُّونها الانكارية .

وهو في الغرب عن اقليم مالي المقدّم ذكره ، فيما ذكره في العبر عن بعض النقلة .

الاقليم الثالث

بلاد غانة

بفتح الغين المعجمة ، وألف ، ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر ، وهي غربيّ اقليم صوصو المقدّم ذكره ، تُجاور البحر المحيط الغربي .

وقاعدته (مدينة غانة) التي قد أضيفَ اليها .

قال في تقويم البلدان : وموقعها خارج الاقليم الأوَّل من الأقاليم السبعة الى الجنوب . قال ابن سعيد : حيثُ الطول تسع وعشرين درجة ، والعرض عشر درج .

قال في تقويم البلدان : وهي محلّ سلطان بلاد غانة .

وقد حكى ابن سعيد : أن لغانة نيلاً شقيقَ نيل مصر ، يَصُبُّ في البحر المحيط الغربي عند طول عشر درج ونصف ، وعرض اربعَ عشرة . واليها تسير التجَّار المغاربة من سِجِلْماسة في برٍّ مُقْفِر ومفاوز عظيمة في جنوب الغرب نحو خمسين يوماً . فيكون بين غانة وبين مصبَّه نحو أربع درج . وهي مبنيَّة على ضفَّتيْ نيلها هذا .

قال في العبر : وكان أهلُها قد أسلموا في أول الفتح الاسلامي .

وقد ذكر في تقويم البلدان أنها مدينتان على ضفَّتيْ نيلها احداهما يسكنها المسلمون ، والثانية يسكنها الكفَّار .

وقد ذكر في « الروض المعطار » : أن لصاحب غانة مَعْلِفيْن من ذهب ، يُربط عليهما فَرَسان له أيام مقعده .

الاقليم الرابع

بلاد كوكو

وهي شرقي مالّي المقدّم ذكره .

قال في « الروض المعطار » : وملكها قائم بنفسه ، له حشم وقُوّاد وأجناد وزِيٌّ كامل . وهم يركبون الخيل والجمال . ولهم بأس وقهر لمن جاورهم من الأُمم . قال : وبها ينبت عود الحيَّة ، وهو عودٌ يُشبه العاقرِقَرْحا ، إلّا أنه أسود . من خاصّته أنه إذا وُضع على جُحْر الحيَّة خرجت اليه بسرعة . ومن أمسكه بيده أخذ من الحيات ما شاء من غير جزع يُدْرِكه أو يقع في نفسه . ثم قال : والصحيح عند أهل المغرب الأقصى أنَّ هذا العود اذا أمسكه ممسك بيده أو علّقه في عنقه لم تقربه حيَّةُ البتَّة .

وقاعدتُه مدينة (كَوْكَوْ) بفتح الكاف وسكون الواو ، وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها . وموقعها في الجنوب عن الاقليم الأول . قال ابن سعيد : حيث الطول أربع وأربعون درجة ، والعرض عشر درج . قال : وهي مقرّ صاحب تلك البلاد . قال : وهو كافر ، يُقاتل مَنْ غربيَّه من مسلمي غانة ، ومَنْ شرقيَّه من مسلمي الكانم .

وذكر المهلّبي في « العزيزي » : أنهم مسلمون . وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهر ونصف .

قال في « الروض المعطار » : وهي مدينة كبيرة على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال . يمرّ بها ويجاوزُها بأيام كثيرة . ثم يغوص في الصحراء في رمال كما يغوص الفرات في بطائح العراق .

قال ابن سعيد : وكَوْكَوْ في شرقيّ النهر . ولباسُ عامّة أهلها الجلود يسترون بها عوراتهم . وتُجّارهم يلبسون الأكسية ، وعلى رؤوسهم الكرازين ، ولبس خواصهم الأزرق .

قال في « مسالك الأبصار » وسُكّانها قبائل يرنان [1] من السودان .

الاقليم الخامس

بلاد تكرور

وهي شرقي بلاد كَوْكَوْ المقدّم ذكره . ويليه من جهة الغرب مملكة البرنو المتقدمة الذكر . وبها عُرفت هـذه المملكة على كبرها واشتهرت .

---

١ ـ كذا ، وقد مرت عند العمري وصححناها يربا .

وقاعدته (مدينة تكرور) ، بفتح التـــاء المثناة فوق ، وسكون الكاف ، وضمّ الراء المهملة ، وسكون الواو ، وراء مهملة في الآخر .

قال في « الروض المعطار » : وهي مدينـــة على النيل على الغرب من ضفافه أكبر من مدينة سلا من بلاد المغرب . وطعام أهلها السمك والذرة والألبان . وأكثر مواشيهم الجمال والمعز . ولباس عامة أهلهـــا الصوف . وعلى رؤوسهم كرازين صوف . ولباس خاصتهم القطن والمآزر . قال : وبينها وبين سِجلماسة من بلاد المغرب أربعون يوماً بسير القوافل . وأقرب البلاد اليها من بلا لَمْتونة بالصحراء آسِفي بينهما خمس وعشرون مرحلة .

قال : وأكثر ما يُسافر به تُجّار المغرب الأقصى اليها الصوف ، والنحاس والخَرَز ، ويخرجون منها بالتبر والخدم .

**

قلتُ : وذكر في « مسالك الأبصار » أنّ هـذه المملكة تشتمل على أربعة عشر اقليماً ، وهي : غانة ، وزافون ، وتُرْنكا ، وتكرور ، وسنغانة ، وبانْبُغُو ، وزرنطابنا [1] ، وبيترا [2] ،

---

١ ـ كذا ، وقد صححناها في نص العمري بـ « زارفيرطا » .

٢ ـ كذا ، وصححناها في نص العمري بـ « قنبرا » .

ودمورا [٣] ، وزاغا ، وكابرا ، وبراغوري ، وكَوْكَوْ ، ومالّي . فذكر أربعة من الأقاليم الخمسة المتقدّمة الذكر . وأسقط اقليم صوصو ، وكأنها اضمحلّت ، وزاد باقي ذلك . فيحتمل انهـــا انضافت الى صاحبها يومئذ بالفتح والاستيلاء عليها .

قال في « مسالك الأبصار » : وفي شماليّ بلاد مالّي قبائل من البربر بيض تحت حكم سلطانها : وهم نيتصر ، ونيتغراسن ، ومديونة ، ولمتونة . ولهم أشياخ تحكم عليهم إلّا نيتصر . فإنهم يتداولهم ملوك منهم تحت حكم صاحب مالي .

قال : وكذلك في طاعته قومٌ من الكفّار بعضهم يأكل لحم الآدميين .

ونقل عن الشيخ سعيد الدُكّالي : أن في طاعة سلطانها بلاد مغارة الذهب ، وهم بلاد همج . وعليهم اتاوة من التبر تُحمل اليه في كل سنة . ولو شاء أخذَهم . ولكن ملوك هذه المملكة قد جرّبوا أنّه ما فُتحت مدينة من هذه المدن وفشا بها الاسلام ، ونطق بها داعي الأذان ، إلّا قلّ بها وجود الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم ويزداد فيما يليه من بلاد الكفّار . فرضوا منهم ببذل

---

٣ ـ عند العمري « درمودا » .

الطاعة وحمل ما قُرِّر عليهم .

وذكر نحو ذلك في « التعريف » في الكلام على غاية .

الجملة الثانية

في الموجود بهذه المملكة

قد ذكر في (مسالك الأبصار) عن الشيخ سعيد الدُكّالي أن بها الخيل من نوع الأكاديش التركيّة . قال : وتجلبُ الخيلُ العِراب الى ملوكهم يتغالون في أثمانهـــا ، وكذلك عندهم البغال والحمير والبقر والغنم ، ولكنها كلّها صغيرة الجثّة ، وتلد الواحدة من المعز عندهم السبعة والثمانية ، ولا مرعى لمواشيهم إنمـــا هي جلالة على القمامات والمزابل . وبهـا من الوحوش الفيـلة والآساد والنمورة ، وكلّهـــا لا تؤذي من بني آدم إلّا من تعرّض لها . وعندهم وحش يُسمّى تُرُمّي بضم التـــاء المثناة والراء المهملة وتشديد الميم ، في قـــدر الذئب ، يتولّد بين الذئب والضبـع لا يكون إلا خُنثى له ذكر وفرج ، متى وجد في الليـل آدمياً صغيراً أو مُراهقاً أكله . ولا يتعرّض الى أحد في النهـــار وهو ينعر كالثور ، وأسنانه متداخلة .

وعندهم تماسيحُ عِظامٌ منهـــا ما يكون طوله عشرة أذرع وأكثر . ومرارته عندهم سُمٌ قاتل تُحمل الى خزانة ملكهم .

وعندهم بقر الوحش ، وحمير الوحش والغزلان .

وفيما يُسامتُ بِجلاسة من بلادهم جواميسُ متوحشة تُصاد كما يُصاد الوحشُ .

وبها من الطيور الدواجن الإوزّ والدجاج والحمام .

وبها من الحبوب الأرز والغوثي [1] ، وهو دق مُزغب ، يُدرسُ فيخرج منه حب أبيض شبيه بالخردل في المقدار أو أصغر منه . فيغسل ثم يُطحن ويُعمل منه الخبز . وهذا الحب هو والأرز هما غالب قوتهم .

وعندهم الذرة . وهي أكثر حبوبهم ، ومنها قوتهم وعليق خيولهم ودوابهم ، وعندهم الحنطة على قِلّة فيها .

أما الشعير فلا وجود له عندهم البتة .

وعندهم من الفواكه البستانيـــة الجمّيز وهو كثير لديهم ، وعندهم أشجار بريّة ذوات ثمار مأكولة مستطابة ، منها شجرٌ يُسمى تادموت يحمل شيئاً مثل القواديس كِبَراً ، في داخلها شيء شبيه بدقيق الحنطة ، ساطع البياض ، طعمه مَزّ لذيذ يأكلون منه ، وإذا جفّ جعلوه على الحنّاء فيسوّده كالنوشادر .

(١) كذا ، وقد مر في نص العمري « الفوثي » .

ومنها شجر يُسمَّى زبيزور تخرج ثمرته مثل قرون الخرّوب فيخرج منها شيء شبيه بدقيق الترمس حلوٌ لذيذُ الطعم ، له نوىً .

ومنهـا شجر يُسمّىٰ قومى يحمل شبيه السفرجل ، لذيذ الطعم يشبه طعم الموز ، وله نوى شبيه بغضروف العظم يأكله بعضهم معه .

ومنها شجر اسمه فاريتي حمله شبيهٌ بالليمون ، وطعمه يشبه طعم الكمثرى ، بداخله نوىً مُلحم ، يؤخذ ذلك النوى وهو طريّ فيطحن فيخرج منه شيء شبيه بالسمن يجمَدُ وتُبَيَّضُ به البيوت وتوقدُ منه السُرُج ، ويُعمل منه الصابون ، وإذا قُصد أكلُه وُضع في قدرٍ على نارٍ ليِّنة . ويُسقىٰ الماء حتى يقوى غليانه وهو مغطّى الرأس ، ويُسارق كشف الغطاء في افتقاده ، فإنه متى كُشف القِدرُ فار ولحق بالسقف . وربَّما انعقد منه نار فأحرق البيت ، فإذا نضِج بُرّد ، وجُعل في ظروف القَرْع ، وصار يُستعمل في المأكل كالسمن . ومتى جُعل في غير ظروفِ القَرْعِ من الآنية خرقها .

ويوجدُ بها من الثمرات البرّيّة ما هو شبيه بكل الفواكه البستانية على اختلاف أنواعها ، ولكنَّها حِرّيفة لا تُستطاب يأكلها الهمجُ من السودان ، وهي قوتُ كثير منهم .

وبها من الخضراوات اللوبياء ، واللفْت ، والثوم ، والبصل ،

والباذنجان ، والكرنب ، أما الملوخيّة فلا تطلع عندهم إلّا بريّة . والقرعُ عندهم بكثرة . وعندهم شيء شبيه بالقلقاس ، يُزرع في الخلاء ، فإن سرق منه سارق قطع الملك رأسه وعَلّقه مكان ما قطع منه . عادةٌ عندهم يتوارثونها خلفاً عن سلف ، لا توجدُ فيها رخصة ، ولا تنفع فيها شفاعة .

وجبالُها ذوات أشجار مشتبكة ، غليظة السوق الى الغاية ، تظلّ الواحدةُ منها خمس مئة فارس .

وفيها بِغانة ، وما وراءها في الجنوب من بلاد السودان الهمج معادنُ الذهب .

★★

وقد حكى في (مسالك الأبصار) عن الأمير أبي الحسن عليٍّ بن أمير حاجب عن السلطان منسا موسى سلطان هذه المملكة : أنه سأله عند قدومه الديار المصريّة حاجّاً ، عن معادن الذهب عندهم — فقال :

توجد على نوعين : نوع في زمان الربيع ينبُت في الصحراء ، له ورق شبيه بالنخيل ، أصوله التبر . والثاني يوجد في أماكن معروفة على ضفّات مجاري النيل ، تُحفر هناك حفائر فيوجد فيها الذهب كالحجارة والحصى ، فيؤخذ .

قال : وكلاهما هو المسمَّى بالتبر .

ثم قال : والأوَّلُ أفضلُ في العيار وأفضلُ في القيمة .

وذكر في « التعريف » نحوه .

وذكر عن الشيخ عيسى الزواوي عن السلطان منسا موسى المقدَّم ذكره أيضاً أنه يُحفر في معادن الذهب كلّ حفيرة عمق قامة أو ما يُقاربها ، فيوجد الذهبُ في جَنباتها . وربَّما وُجد مجتمعاً في سُفْل الحفيرة . وأنَّ في مملكته أمماً من الكفَّار لا يأخذ منهم جزية ، إنما يستعملهم في إخراج الذهب من معادنه .

ثم قد ذكر في « مسالك الأبصار » أن النوع الأوَّل من الذهب يوجد في زمن الربيع عقيب الأمطار ينبُت في مواقعها . والثاني يوجد في جميع السنة في ضفَّات مجاري النيل .

وذكر في « التعريف » : أنَّ نبات الذهب بهذه البلاد يبدأ في شهر (أغشت) حيث سلطان الشمس قاهر ، وذلك عند أخذ النيل في الارتفاع والزيادة . فإذا انحطَّ النيل تُتُبِّعَ حيث ركب عليه من الأرض ، فيوجد منه ما هو نبات يشبه النخيل وليس به ، ومنه ما يوجد كالحصىٰ ، فجعل الجميع مما يحدث في هذا الزمن في أماكن النيل خاصَّة . وفيه مخالفةً لما تقدَّم . بل قد قال : إنَّ شهر أغشت الذي يطلعُ فيه الذهب ، وهو من شهور

الروم ، ويقع ، والله أعلم ، أنه يركّب من تمّوز وآب ، يعني من شهور السريان . وهذا غلط فاحش . فقد تقـــدّم في المقالة الأُولىٰ أنَّ شهور الروم منطبقة عـــلى شهور السريان في الابتداء والانتهاء ، دون ابتداء أوّل السنة . وشهر أغشت من شهور الروم هو شهر آب من شهور السريان بعينه .

ثم قـد حكى في « مسالك الأبصار » عن والي مصر عن منسا موسى المقدّم ذكره أنَّ الذهب ببلاده حِميً له ، يُجمع له متحصّلُه كالقطيعة ، إلّا ما يأخذه أهلُ تلك البلاد منه على سبيل السرقة .

وحكى عن الشيخ سعيد الدُّكّالي أنه إنما يُهادى بشيء منه كالمصانعة ، وأنّـــه يتكسّبُ عليهم في المبيعات لأنّ بلادهم لا شيء بها .

ثم قـال : وكلام الدُكّالي أثبت ، وعليـه ينطبق كلامه في التعريف حيث ذكر غانـــة . ثم قال : وله عليها إتاوة مقرّرة تُحمل اليه في كلّ سنة .

وبهـذه البلاد أيضاً معدن نُحاس ، وليس يوجـد في السودان إلا عندهم . قال الشيخ عيسى الزواوي : قال لي السلطان موسى إنَّ عنده في مدينة اسمها « نكوا » معدن نُحاس أحمر ، يجلب

منه قضبان الى مدينة بَنْي [1] قاعدة مالّي ، فيبعث منه الى بلاد السودان والكفّار ، فيُباع وزن مثقال بثُلُثَيْ وزنه من الذهب ، يُباع كلّ مئة مثقال من هذا النحاس بستة وستين مثقالاً ، وثلثيْ مثقالٍ من الذهب .

وبهذه البلاد مَعْدِن مِلْح ، وليس في شيء من السودان الواجين في الجنوب والمسامتين لسِجِلْماسة وما وراءها ملحٌ سواه . قال المقرئ الشهابي بن فضل الله : حدّثني ابو عبد الله بن الصائغ أنّ الملح معدوم في داخل بلاد السودان . فمن الناس من يُغرّر ويصلُ به إلى أناس منهم يبذلون نظير كلّ صُبْرة ملح مثله من الذهب . قال ابن الصائغ : وحُدّثتُ أنّ من أمم السودان الداخلة مَنْ لا يظهر لهم ، بل إذا جاء التجار بالملح وضعوه ثم غابوا ، فيجيء السودان فيضعون إزاءه الذهب . فإذا أخذ التجار الذهب أخذ السودان الملح .

قال في مسالك الابصار : قال لي الدُكّالي : وأهل هذه المملكة كثيرٌ فيهم السحر ، ولهم به عناية ، حتى إنهم في بلاد الكفّار منهم يصيدون الفيل بالسحر حقيقةً لا مجازا ، وفي كُلّ وقت يتحاكمون عند ملكهم بسببه ويقولُ أحدهم : إن [illegible]

(١) كذا ، ومر صوابها يني .

قَتَلَ أخي أو ولدي بالسحر ، والسلطان يحكم على القاتل بالقصاص وقتلِ الساحر .

وحكى عنه أيضاً أنَّ السموم بهذه المملكة كثيرة ، فإن عندهم حشائش وحيوانات يركّبون منها السموم القتّالة ، ولا سيَّا من سمكٍ يوجد عندهم .

قال الشيخ سعيد الدُكّالي : ومِنْ خصيصة هذه البلاد أن يُسْرِع فيها فسادُ المدَّخرات ، لا سيَّا السَّمْن ، فإنه يفسد ويُنتِنُ فيها في يومَيْن .

الجملة الثالثة

في معاملة هذه المملكة

ذكر في مسالك الأبصار عن ابن أمير حاجب : أن المعاملة عندهم بالوَدَع ، وأنَّ التجّار تجلبه اليهم كثيرا ، فتربح فيه الربح الكثير . وكأنه هذا في المعاملات النازلة من مثل المآكل وما في معناها ، وإلّا فالذهب عندهم على ما تقدَّم من الكثرة .

الجملة الرابعة

في ذكر ملوك هذه المملكة

قد تقدَّم أنَّ هـــذه المملكة قد اجتمع بها خمسة أقاليم : وهي : اقليم مالّي ، وإقليم صُوصُو ، وإقليم غانة من الجانب الغربيّ عن مالي ، وإقليم كَوْكَوْ وإقليم تكرور في الجانب الشرقي عن مالي ، وأنَّ كلَّ اقليم من هـذه الخمسة كان مملكة مستقلَّة ، ثم اجتمع الكُلُّ في مملكة صاحب هـــذه المملكة . وأنَّ مالّي هي أصل مملكته .

قال في مسالك الأبصار : وهو وإن غلب عليه عنـــد أهل مصر اسم سلطان التكرور فإنـــه لو سمع هذا أَنِفَ منه ، لأنَّ التكرور إنَّما هو اقليم من أقاليم مملكته ، والأحبّ اليه أن يُقال صاحب مالّي ، لأنه الاقليم الأكبر ، وهو به أشهر .

ونقل عن الشيخ سعيد الدُكَّالي . إنه ليس بمملكته مَنْ يُطلق عليـه اسم ملك إلَّا صاحب غانة ، دون غيره لعدم انتزاعها منه والاستيلاء عليها استيلاءً كلِّياً . فقـــد قال في « التعريف » : وأمَّا غانة فإنه لا يملكها وكأنه مالكُها ، يتركها عن قُدرة عليها ، لأن بهـا وبما وراءها جنوباً منابت الذهب . وذكر ما تقدَّم من

أن بلاد منابت الذهب متى فشا فيها الاسلام والأذانُ ، عُـدِمَ فيها نباتُ الذهب . وصاحب مالّي يتركها لذلك لأنه مسلم ، وله عليها إتاوة كبيرة مقرّرة تُحمل اليه في كُلّ سنة .

وقد ذكر صاحب العبر أنَّ هذه الممالك كانت بيد ملوك متفرّقة ، وكان من أعظمها مملكة غانة . فلما أسلم الملثّمون من البربر تسلّطوا عليهم بالغزو حتى دان كثيرٌ منهم بالاسلام ، وأعطى الجزية آخرون ، وضَعُفَ بذلك مُلْكُ غانة واضمحلّ ، فتغلّب عليهم أهل صُوصُو المجاورون لهم ، وملكوا غانة من أيدي أهلها . وكان ملوكُ مالي قد دخلوا في الإسلام منذ زمن قديم .

قال : ويُقال إنَّ أوّل مَنْ أسلم منهم مَلِكٌ اسمه (بَرَمِنْدانّة) بباء مُوَحّدة وراءٍ مُهملة مفتوحتين ، وميمٍ مكسورة ، ونونٍ ساكنة ودالٍ مهملة بعدها ألف ، ثم نونٌ مشدّدة مفتوحة وهاءٌ في الآخر فيما ضبطه بعضُ علمائهم . ثم حجّ بعد اسلامه فاقتفىٰ سننه في الحجّ ملوكهم من بعده .

ثم جاء منهم ملك اسمه (ماري جاظة) ، ومعنى (ماري) الأمير الذي يكونُ من نسل السلطان ، ومعنى (جاظة) الأسد . فقوي مُلْكُهُ وغلب على صُوصُو ، وانتزع ما كان بأيديهم من

مُلْكهم القديم ومُلْك غانة الذي يليه الى البحر المحيط . ويُقال إنّه ملك عليهم خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ابنه (مَنْسا ولي) [1] . ومعنى (مَنْسا) بلغتهم السلطان . ومعنى (ولي) عليّ . وكان من أعظم ملوكهم ، وحَجّ أيام الظاهر بيبرس صاحب مصر .

ثم ملك من بعده أخوه (والي) .

ثم ملك من بعده أخوه (خليفة) ، وكان أحمق ، يغلبُ عليه الحمقُ فيرمي الناس بالسِّهام فيقتلهم ، فوثب به أهلُ مملكته فقتلوه .

وملك بعده سِبْطٌ من أسباط (ماري جاطة) المقدَّم ذكره ، اسمه (ابو بكر) على قاعدة العجم في تمليك البنْتِ وابنِ البِنْتِ .

ثم تغلّب على المُلْك مولىً من مواليهم اسمه (ساكَبُورة) . ويُقال (سيكُرُه) ، فاتّسع نِطاق مملكته ، وغلب على البلادِ المجاورة له . وفَتحَ بلاد كَوْكَوْ ، واستضافها الى مملكته ، واتصل ملكُه من البحر المحيط الغربيّ الى بلاد التَّكْرُور . فقوي سلطانه ، وهابه أمم السودان ، ورحل اليه التجّار من بلاد الغرب وافريقية . وحجّ أيّام السلطان الملـــك الناصر (محمد بن قلاوون) ورجع

(١) يجب ان تضبط بسكون الواو ومعناها الاحمر بلغتهم .

فقُتِل إثر عَوْدِه .

وملك بعده (قو)[1] بن السلطان (ماري جاظة) .

ثم ملك من بعده (محمد بن قو) . ثم انتقل الملك من ولد (ماري جاظة) الى ولد أخيه أبي بكر .

فولي منهم (مَنْسا موسى) بن أبي بكر ، قـــال في العبر : وكان رجلاً صالحاً ، وملكاً عظيماً ، لـه أخبار في العدلِ تؤثرُ عنه . وعظُمت المملكةُ في أيامه الى الغايـــة ، وافتتح الكثير من البلاد .

قال في « مسالك الأبصار » : حكى ابنُ أمير حاجب والي مصر عنه أنـــه فتح بسيفه وحده أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع .

قال في « مسالك الأبصار » : قال ابن أمير حاجب : سألتُه عن سبب انتقال الملك اليه فقال : إنَّ الذي قبلي كان يظنّ أن البحر المحيط له غايـــة تُدرك . فجهز مئين سفن ، وشحنها بالرجال ، والأزواد التي تكفيهم سنين ، وأمر مَنْ فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايتـه أو تنفذ أزوادُهم . فغابوا مدّةً طويلة ثم عاد منهم سفينة واحدة وحضر مقدّمها ، فسأله عن أمرهم ، فقال : سارت

---

(١) يجب ان تلفظ « جو » بالجيم الفارسية .

السفن زماناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجّة وادٍ له جريـــة عظيمة فابتلع تلك المراكب ، وكنتُ آخر القوم فرجعتُ بسفينتي .

فلم يصدّقه ، فجهّز ألفَيْ سفينة ، ألفاً للرجال وألفاً للأزواد ، واستخلفني ، وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . فكان آخر العهد به وبمن معه .

قال في « العبر » : وكان حجّه في سنة أربع وعشرين وسبع مئة في الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » .

قال في « مسالك الأبصار » : قـال لي المهمندار : خرجتُ لملتقاه من جهـــة السلطان ، فأكرمني إكراما عظيماً ، وعاملني بأجمل الآداب ، ولكنه كان لا يُحدثني إلّا بترجمان مع إجادة اللسان العربي .

قـال : ولما قدِم ، قـدّم للخزانة السلطانية حِمْلاً من التِبْر ، ولم يترك أميراً ولا ربّ وظيفة سلطانيّة إلّا وبعث اليه بالذهب .

وكنتُ أحاوله في طلوع القلعـــة للاجتماع بالسلطان حسب الأوامر السلطانية فيأبىٰ ، خشية تقبيل الأرض للسلطان ، ويقول : جئتُ للحج لا لغيره ، ولم أزل به حتى وافق على ذلك .

فلمـــا صار الى الحضرة السلطانية قيل له : قَبِّل الأرض .

فتوقّف وأبى إباء ظاهراً وقال : كيف يجوز هذا ؟

فأسرَّ اليه رجلٌ كان الى جانبه كلاما ــ فقال :

ــ أنا أسجد لِله الذي خلقني وفطَرَني .

ثم سجد .

وتقدَّم الى السلطان ، فقام له بعض القيـــام ، وأجلسه إلى جانبه وتحدّثا طويلاً .

ثم قام السلطان موسى ، فبعث اليـه السلطان بالخلع الكاملة له ولأصحابه ، وخيْلاً مُسْرَجة ملجمة . وكانت خلعته طَرْدَ وَحْشٍ بقصبٍ كثير ، بسِنْجاب مُقَنْدَس ، مطرّز بزَرْكش ، على مفرج اسكندري ، وكلّوته زَرْكش ، وكلاليب ذهب ، وشاش بحرير ، ورَقْم خليفتي ، ومنطقة ذهب مرصّعة ، وسيف مُحَلّى ، ومِنْديل مُذْهب خزّ ، وفرسيْن مُلْجَمَيْن بمراكب بغـل محلّاة ، وأعلام ، وأجرى عليه الأنزال والإقامات الوافرة مدّة مقامه .

ولمّا آن أوانُ الحجّ بعث اليـــه بمبلغ كبير من الدراهم ، وهُجُن جليـــلة كاملة الأكوار والعُدّةِ لمركبه ، وهُجن أتباع لأصحابه ، وأزوادٍ جمّة ، وركـز له العلّيق في الطرق ، وأمر أمير الركْب بإكرامه واحترامه .

ولما عاد بعث الى السلطان من هدية الحجاز تبرّكا ، فبعث

اليـــه بالخلع الكاملة له ولأصحابه ، والتُحف والألطاف من البزّ السكندري والأمتعة الفاخرة ، وعاد الى بلاده .

وذكر عن ابن أمير حاجب والي مصر أنّه كان معه مئة حمل ذهباً أنفقها في سَفْرَته تلك على مَنْ بطريقه الى مصر من القبائل ، ثُمّ بمصر ، ثم من مصر الى الحجاز ، توجّهاً وعَوْداً حتى احتاج الى القَرْض ، فاستدان على ذمّته من تُجّار مصر بمالهم عليه فيه المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لأحدهم في كل ثلاث مئة دينار سبع مئة دينار ربحا . وبعث اليهم بذلك بعد توجه الى بلاده .

قـــال في « العبر » : ويُقال إنّه كان يحمل آلته اثنا عشر ألف وصيفة لابساتٍ أقبية الديباج .

قال في « مسالك الأبصار » : وذكر لي عنه ابنُ أمير حاجب أنه حكى له أنّ من عادة أهـل مملكته أنّـه اذا نشأ لأحدٍ منهم بنت حسناء ، قدّمهـا له أمَةً موطوءة . فيملكها بغـير تزويج ، مثل مُلْكِ اليمن . فقلتُ له : إنّ هذا لا يحلّ لمسلمٍ شَرْعاً .

فقال : ولا للملوك ؟

فقلت : ولا للملوك ، وأسأل العلماء .

فقال : واللهِ ما كنتُ أعلمُ ذلك . وقد تركتُه من الآن .

قـال في « العبر » : ودام مُلكُه عليهم خمساً وعشرين سنة ومات .

فملك بعده ابنـــه (منسا مَغَا) . ومعنى (مَغَا) عندهم (محمد) . يعنون السلطان محمد . ومات لأربع سنين من ولايته .

ومَلَكَ بعـــده أخوه (مَنْسا سليمان) بن أبي بكر ، وهو أخو منسا موسى المقدَّم ذكره .

قال في « مسالك الأبصار » : واجتمع لـــه ما كان أخوه افتتحه من بلاد السودان ، وأضافه الى يد الاسلام ، وبنى به المساجد والجوامع والمنارات ، وأقام به الجُمع والجماعات والأذان ، وجَلَبَ الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك رضي الله عنه ، وتفقّه في الدين .

قـــال في « العبر » : ودام مُلْكُه أربعاً وعشرين سنة ، ثم مات .

وولي بعده ابنه (قنبتا[1] بن سليمان) ، ومات لتسعة أشهر من مُلْكه .

وملك بعده (ماري جاطة) بن منسا مَغَا بن منسا موسى . فأقام أربع عشرة سنة أساء فيها السيرة ، وأفسد مُلْكَهم ، وأتلف ذخائرهم بسرفه وتبذيره ، حتى انتهى به الحالُ في السَّرف أنّه

(١) معناه في لغتهم « الضخم الرقبة » .

كان بخزائنهم حجر ذَهبٍ زنتهُ عشرون قنطاراً منقولاً من المعدن من غير مَسْبك ولا علاجٍ بالنـــار . وكانوا يرونـه من أنْفَس ذخائرهم لندور وجود مثله في المعدن . فباعه عـــلى تُجَّار مصر المتردِّدين عليه بأبخس ثمن ، وصَرَف ذلك كله في الفسوق . وكان آخر أمره أن أصابَتْـه علَّةُ النوْم ـــ وهو مَرَض كثيراً ما يصيبُ أهلَ تلك البـلاد ـــ لا سيَّما الرؤساء منهم ، يأخذ أحدهم النوم حتى لا يكاد يفيق . فأقام به سنتين حتى مات سنة خمس وسبعين وسبع مئة .

وملك بعده ابنه (موسى) فنكب عن طريق أبيه ، وأقبل على العدْلِ وحُسْنِ السيرة .

وتغلَّب عـلى دولته وزيره (ماري جاظة) . فحجره وقـام بتدبير الدولة ، وكان له فيهـا أحسنُ تدبير ، وبقي مَنْسا موسى حتى مات سنة تسع وثمانين وسبع مئة .

ومَلَكَ بعده أخوه (منسا مَغَا) ، وقُتِل بعـــده بسنةٍ أو نحوها .

وملك بعده (صندكي) زوجُ أمّ موسى المقدَّم ذكـره . ومعنى صندكي الوزير . ووثب عليه بعـد أشهر رجلٌ من بيت ماري جاظة .

ثم خرج من ورائهم من بلاد الكَفَرَة رجلٌ اسمه محمود يُنسب الى (منسا قو [1]) ابن منسا وْلي ، بن مارِي جاظة . ولقبه منسا مغا . وغلب على الملك في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

قال في التعريف : وصاحب التكرور هذا يدَّعي نَسَباً الى عبد الله بن الصالح ، بن الحسن بن عليّ بن ابي طالب كرَّم الله وجوههم .

قلتُ : هو صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابي الكِرام ، بن موسى الجَوْن ، بن عبد الله بن حسن المُثَنَّى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقد ذكر في « تقويم البلدان » أنَّ سلطان غانة يدَّعي النسب الى الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة ، لأنَّ من جملة مَنْ هو في طاعته غانة ، أو مَنْ كان بها في الزمن القديم قبل استيلاء أهل الكفر عليها .

الجملة الخامسة

في أرباب الوظائف بهذه المملكة

قد ذكر في « مسالك الأبصار » أنَّ بهذه المملكة : الوزراء ، والقُضاة ، والكتاب ، والدواوين . وأنَّ السلطان لا يكتُب شيئاً

(١) كذا « قو » وتلفظ القاف مثل الجيم الفارسية كما مر

في الغالب ، بل يَكِلُ كُلَّ أمرٍ الى صاحب وظيفتـه من هاؤلاء فيفصله . وكتابتهم بالخطّ العربيّ على طريقة المغاربة .

الجملة السادسة

في عساكر سلطانه هذه المملكة وأرزاقهم

أمّـا مقدار العساكر فقد ذكر الشيخ سعيد الدُكّالي أنّ مقدار عسكره مئـــة ألف نفر ، منهم خيالة نحو عشرة آلاف فارس ، وباقيهم رَجّالة لا خَيْل لهم .

وأمّـا الإقطاعات لأُمراء هـذا السلطان وجنده والانعامات عليهم فقد قال الدُكّالي : إنّ من أكابرهم مَنْ يبلغ جملة ماله على المِلك في كلّ سنة خمسين الف مثقال من الذهب ، وأنه يتفقّدهم مع ذلك بالخيل والقماش ، وأنّ همّته كلّهـــا في تجميل زيّهم وتمصير مُدُنهم .

الجملة السابعة

في زي أهل هذه المملكة

قـال الدُكّالي : لباسُهم عمائم بحنكٍ مثل العرب ، وقماشهم بياضٌ من ثياب قطن تُنسَجُ عندهم في نهاية الرقة واللطف تُسَمّى

الكميصا . ولبسهم شبيه بلبس المغاربة : جبابٌ ودراريع بلا تفريج ، والأبطالُ من فرسانهم تلبس أساور من ذهب . فمن زادت فروسيته لبس معها أطواقاً من ذهب ، فإذا زادت لبس مع ذلك خلاخل من ذهب . وكُلَّما زادت فروسيَّة البطل ألبسه الملك سراويل مُتَّسعة . وسراويلاتهم ضيّقـــة أكمام الساقين ، متسعة الشرج .

وأهل هذه المملكة يركبون بالسروج ، وهم في غالب أحوالهم في الركوب كأنهم من العرب ، إلّا أنَّ هـؤلاء يبدأون في الركوب بأرجلهم اليمنى بخلاف غيرهم من سائر الناس جميعاً . ولا يُعرف عندهم ركوب جَمَلٍ بَكور .

الجملة الثامنة

في ترتيب هذه المملكة

أمّا جلوس السلطان في قصره فإنه يجلس على مصطبة كبيرة على دكّة كبيرة من ابنوس ، كالتخت ، على قدر المجلس العظيم المتّسع ، عليها أنيابُ الفيلة في جميع جوانبها ، النابُ الى النابِ . وعنده سلاحٌ له من ذهب كلـــه : سيفٌ ، ومِزْراق ، وقوس ، وتركاش ، ونُشّاب ، وعليـــه سراويل كبير ، مُفَصَّل من نحو

عشرين نصفيَّة ، لا يلبس مثله أحدٌ منهم ، بل هو من خصوصيته ، ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكاً من التُرك وغيرهم ممن يُبتاع له من مصر . بيد واحدٍ منهم جتر من حرير عليه قبة ، وطائرٌ من ذهب صِفَةُ بازي يُحمل على يساره . وأمراؤه جلوس حوله يميناً وشمالا . ثم دونهم أعيانٌ من فرسان عسكره جلوس ، وبين يديه شخصٌ يغنّي له ، وهو سيَّافُه . وآخرُ سفيرٌ بينـــه وبين الناس يُسمّىٰ الشاعر ، وتُنْهىٰ اليه الشكاوىٰ والمظالم فيفصلها بنفسه . ولا يكتب شيئاً في الغالب ، بل يأمر بالقول بلسانه . وحوله أناس بأيديهم طبولٌ يَدُقّون بها ، وأناسٌ يرقصون وهو يضحك منهم .

وخلفه صَنْجَقان منشوران .

وأمامه فَرَسان مشدودان محصّلان لركوبه متى أحب .

ومَنْ عَطَسَ في مجلسه ضُرِبَ ضَرْباً مؤلماً ، لا يُسامحُ أحدٌ في مثل ذلك . فإن بَغَتَ أحداً منهم العُطاسُ انبطح في الأرض وعَطَسَ حتى لا يُعلم به . أمّا الملكُ فإنـــه إذا عَطَسَ ضَرَبَ الحاضرون بأيديهم على صدورهم .

ولا يدخلُ أحدٌ دارَ السلطنة منتعلاً كائناً مَنْ كان ، ومَنْ لم يخلع نعليْه قُتِلَ بلا عفو ، عامداً كان أو ساهيا .

وإذا قَدِم عليه أحدٌ من أمرائه أو غيرهم وقفَ أمامه زماناً ، ثم يومئ القادم بيده اليمنى مثل مَنْ يضربُ الجوك ببلاد توران وايران من بلاد المشرق .

وصِفَةُ ذلك أن يكشف مقدم رأسه ويرفع الذي يضربُ الجوك يده اليمنىٰ الى قريب أُذُنه ، ثم يضعُها وهي قائمة منتصبة ، ويُلقيها بيده اليُسرىٰ فوق فخذه . واليدُ اليُسرىٰ مبسوطةُ الكفّ لتلقى مرفق اليُمنىٰ ، مبسوطة الكف مضمومة الأصابع ، بعضها الى جانب بعض كالمشط ، تُماسُّ شحمة الأذن .

قال ابنُ أمير حاجب : وقد رأيتُ هذا عند خدمتهم للسلطان موسى لما قَدِم الديار المصرية .

فإذا أنعم على أحدٍ بإنعام أو وَعَدَه وعْداً جميلاً أو شكره على فِعْل ، تمرَّغَ المنعم عليه بين يديه من أوّلِ المكان الى آخره . فإذا وصل الى آخر المكان أخذ غِلمان المُنْعَم عليه أو مَنْ هو مِنْ أصحابه من رماد يكون موضوعاً في آخر مجلس الملك مُعدّاً لهذا الشأن فَيَذُرُّ في رأسِ المنعم عليه ، ثم يعودُ ويتمرَّغ الى أن يصل بين يديْ الملك ، ويضربُ جوكاً آخر بيده .

وأمّا في الركوب فقد جَرَت عادةُ سلطان هذه المملكة أنّه إذا قَدِمَ من سَفَر أن يحمل على رأسه الجتر راكبٌ ، ويُنشر على

رأسه عـــلمٌ ، وتُضرب أمامه الطبول ، والطنابير ، والبوقات بقرونٍ لهم فيها صناعةٌ محكمة .

قال ابنُ أمير حاجب : وشِعارُ هذا السلطان أعلامٌ وألويةٌ كبار جداً . ولونُه أصفرُ في أرضٍ حمراء .

وأمّا غير ذلك من سائر أموره ، فقـــد ذكر الشيخ سعيد الدُكّالي : أنّ من عادة هذا السلطان أنّه إذا عاد اليه أحدٌ ممن بعثه في شُغُل له أو أمرٍ مُهِمٍّ أن يسأله عن كُلّ ما حدث له من حين مفارقته له والىٰ حين عَوْدِهِ مُفَصّلا .

قال ابن أمير حاجب : وقـــد رأيتُ السلطان موسى وهو بمصر لا يأكل إلّا منفرداً وحده ، لا يحضره عنـــد الأكل احدٌ البتّة .

(صبح الاعشى ٥ : ٢٨٢ - ٣٠١)

المكاتبة الى مسلمي ملوك السودان

ملك مالي :

قال في « مسالك الأبصار » : وهي في نهاية المغرب متّصلة بالبحر المحيط .

وقاعدة الملك بها يني ، وهي أعظمُ ممالك السودان . وقد تقدّم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك ذكر أحوالها . وما تيسّر من ذكر ملوكها ، وأن مالي اسم للاقليم ، والتكرور مدينةٌ من مُدُنه . وكان ملكها في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون منسى موسى . ومعنى منسى السلطان .

وملك التكرور هاذا يدّعي نسباً الى عبد الله [1] بن صالح بن الحسن ، بن علي بن ابي طالب ، ورسم المكاتبة اليه على ما ذكره في « التعريف » :

« أدام الله تعالى نصر المقرّ العالي ، السلطان الجليل الكبير العالم ، العادل ، المجاهد ، المؤيّد ، الأوْحد ، عز الاسلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر الغُزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحّدين ، جمال الملوك والسلاطين ، سيف الجلالة ، ظهير الإمامة ، عضد أمير المؤمنين ، الملك فلان — ويُدعى له بما يُناسب .

---

١ ـ مر في ص ١٢٩ أنه « صالح بن عبد الله ... »

قال : ولا يُعرض له ولا يُقرّ بشيء من الألقاب الدالة على النسب العلويّ .

وهاذا صدرٌ لهذه المكاتبة ذكره في « التعريف » :

« ويَسَّر له القيام بغرضه ، وأحسن له المعاملة في قَرْضه ، وكثّر سواده الأعظم ، وجعلهم بيض الوجوه يوم عرضه ، ومتّعه بملكٍ يجدّ الحديد سجف سمائه ، والذهب نبات أرضه .

صدرت هاذه المفاوضة وصدرُها به مملو ، وشكرها عليه يحلو ، ومزايا حُبّه في القلوب سرُّ كلّ فؤاد ، وسبب ما حَلِيَ به الطرف والقلبُ من السواد . تنزّل بـــه سُفُنُها المسيَّرة في البحر وتُرْسي ، وتحلّ عند ملكٍ ينقص به زائده ويُنسي ، موسى منسىٰ ، وتُقيم عليه والدهرُ لا يطرُقه فيما ينوب ، والفكر لا يشوقه إلّا إذا هبَّت صبا من أرضه أو جنوب . »

والمتداولُ بين جماعة كتاب الإنشاء أنَّ المكاتبة اليه :

« أعزّ الله تعالى جانب الجناب الكريم العالي ، الملكِ الجليل ، العالم العادل ، المجاهد المؤيَّد ، المرابط المثاغر ، العابد الناسك ، الأوحد ، فلان ، ذخر الإسلام والمسلمـــين ، نُصْرَة الغُزاة والمجاهدين ، عَوْن جيوش الموحّدين ، ركن الأُمة ، عماد الملّة ، جمال الملوك والسلاطين ، وليّ أمير المؤمنين .. والدعاء .

وذكر نحو ذلك في الدستور المنسوب للمقرّ العـــلائي ابن فضل الله . ثم قال :

ويقال : « صدرت هـذه المكاتبة الى الجناب العـالي مملوءة الصدرِ بشكره ، باسمةَ الثغْرِ برفْعَةِ قدره ، مُوَضِّحَةً لعلمه الكريم كَيْت وكيْت » . وذكر أن خطابه بالجناب الكريم ، والطلب والقصدَ والختْمَ بالإحاطة .

وذكر هو وصاحب « التثقيف » أنَّ المكاتبة اليـه في قطع الثُلُث .

والعلامة : أخوه .

وتعريفُه : صاحب مالّي وغانة .

(صبح الاعشى ٨ – ٩ – ١١)

ملحق

نلحق بالنصوص الجغرافية التي أوردناها هذا الجدول بأسماء الاقاليم والدوائر والمدن الموجودة حالياً في جمهورية مالّي . وهي الجداول الرسمية للحكومة المالية .

وتبلغ مساحة جمهوريـــة مالّي اليوم ١٬٢٠٤٬٠٢١ كيلو متراً مربعاً .

وعدد سكانها ٤٬٧٩٩٬٢١٦ نسمة حسب الاحصاء الرسمي في ٣١ ديسمبر ١٩٦١ .

وعاصمتها مدينة « باماكو » .

ويتكلم أهلها اللغات التالية :

باميرا ، بول ، سارا كوله ، سورائي ، تاماشيك . الى جانب اللغتين العربية والفرنسية .

ودين أهل مالي الغالب هو الاسلام .

CERCLES	- COMMUNES -	- ARRONDISSEMENTS -	
- BAMAKO -	Com. Pl. Exercice BAMAKO	Bamako Central	باماكو الوسطي
		Siby	سيبي
		Ouélessébougou	اولاسابوقو
		Négala	نيقالا
		Sanankoroba	سانتكوروبا
- K A T I -	Com. Moy. Exercice K A T I	Kati	كاتي
		Baguineda	باقينيدا
		Kourouba	كوروبا
- BANAMBA -	—	Banamba Central	بانبا الوسطى
		Boron	بودون
- DIOILA -	—	Dioila Central	ديوالا الوسطى
		Fana	فانا
		Massigui	مسّيقي

Beleco	بيليكو	—	—
Tiélé	تيالي		
Kangaba Central	كنقابا الوسطى	—	- KANGABA -
Naréna	نارينا		
Kolokani Central	كولوكاني الوسطى	—	- KOLOKANI -
Nossobougou	نوسوبوقو		
Didiéni	ديدياني		
Koulikoro Central	كوليكورو الوسطى	Com. Moy. Exercice KOULIKORO	- KOULIKORO -
Nyamina	نيامينا		
Siracorola	سيراكورولا		
Kenenkou	كننكوو		
Nara Central	نارا الوسطى	—	- N A R A -
Ballé	باليه		
Dilly	ديلي		
Mourdiah	مرضيه		

- ANSONGO -	**GOUVERNORAT DE GAO** —	Ansongo Central	انسونقو الوسطى
		Teasit	تيسيت
		Teletaye	تيليتايا
		Ouatagouna	أواتقونا
- BOUREM -	—	Bourem Central	بورم الوسطى
		Bamba	بمبا
		Almoustrarat	المورتارة
- DIRÉ -	—	Diré Central	ديره الوسطى
		Saréyamou-	ساريامو
- G A O -	**Com. Moy. Exercice G A O**	Gao Central	قاوا الوسطى
		Boro	بورو
		Gargouna	قرقونا
-GOUNDAM-	—	Goundam Central	قندام الوسطى
		Garganda	قرقندا
		Douekire	دواكير

		Tonka	تونكا
		Bintagoungou	بينتاقونقو
		Ras El Ma (AN)	راس الما
—	—	Route de Léré	طريق ليره
		(Foita) AN	فواتا
		Faguibine (Farch) AN	فقيبين
		Gourma-Rharous Central	قورمارحروس الوسطى
- GOURMA -	—	Bambara Maoundé	بمبرا ماوندا
- RHAROUS -		Gossi	قوسي
		Ouinarden (AN)	وينردن
		Kidal Central	كيدال الوسطى
		Tessalit	تيسالين
		Timétrine	تيمترين
- K I D A L -	—	(TIN KAR) AN	تين كار
		Bouressa (AN)	بوريسا
		Tin Zaouatana (AN)	تين زاوانانا

- MENAKA -	—	Ménaka Central	مينا كا الوسطى
		Anderamboukane	اندرنبوكان
		Intebzaz (AN)	انتبزاز
- TOMBOUCTOU -	Com. Moy. Exercice	Tombouctou Central	تومبكتو الوسطى
		Taoudéni (AN)	تاودانى
		Arouane (AN)	اروان
		Inakouder (AN)	انا كودير
	GOUVERNORAT DE KAYS		
- K A Y E S -	Com. Pl. Exercice	Kayes Central	كايس الوسطى
		Kouassane	كواسان
		Ambidédi	امبدادي
		Diamou	ديامو
		Aourou	آورو
		Kayes	كايس
		Sadiola	سادبولا
		Ségala	سقالا

- BAFOULABE -	—	Bafoulabé Central	بافولابي الوسطى
		Oussoubidiagna	اوسوبيديانا
		Koundian	كونديان
		Bambila	بمبيلا
		Mahina	مهينا
- KENIEBA -	—	Kéniéba Central	كنيابا الوسطى
		Faléa	فاليا
		Dialafara	ديالافاره
		Faraba	فرابا
		Dombia	دومبيا
		Kassama	كاساما
- K I T A -	Com. Moy. Exercice	Kita Central	كيتا الوسطى
		Toukoto	توكوتو
		Sagabari	سقاباري
		Sebékoro	سيبيكورو
		Séfeto	سيفاتو

—	—	Sirakoro	سيراكورو
		Kita	كيتا
- NIORO -	Com. Moy. Exercice	Nioro Central	نيورو الوسطى
		Diema	دياما
		Tourougoumbé	توروقومبا
		Sandaré	صندره
		Lakamané	لاكمانه
		Gavinané	قافينانيه
		Bèma	بيما
		Gogui	قوقي
		Dioumara	ديومارا
		Nioro	نيورو
- YELIMANE -	—	Yèlimané Central	ياليمانه الوسطى
		Kiranè	كيرانه
		Marena	مرينا
		Tambacara	تمباكارا

- BANDIAGARA -	—	Bandiagara Central	بنديافارة الوسطى
		Kanigogouna	كنيقوقونا
		Kendié	كنديا
		Goundaka	قنداكا
		Ouo	اوُ
		Sangha	سنغا
		Ningari	نينغاري
- BANKASS -	—	Bankass Central	بنكس الوسطى
		Sokoura	سوكورا
		Dillassagou	ديالاساقو
		Kani-Bonzon	كاني بونزون
		Bai	باي
		Ouenkorou	اونكورو
		Ségué	سيقه
- DJENNE -	—	Djenné Central	دجونه الوسطى
		Kouakourou	كواكورو

	—	Sofara	سوفارا
		Mougna	مونيا
-DOUENTZA-	—	Douentza Central	دوانتزا الوسطى
		Hombori	هومبوري
		N'GOUMA	نقوما
		Boré	بوره
		Boni	بوني
-K O R O-	—	Koro Central	كورو الوسطى
		Dinangourou	دينقورو
		Diankabou	دينكابو
		Toroli	تورولي
		Madougou	مادوقو
		Koporonkendié-Na	كوبورنكنديانا
		Diougani	ديوقاني

- M O P T I -	Com. Pl. Exercice	Mopti Cetral	موبي الوسطى
		Kona	كونا
		Korientzé	كورينزا
		Fatoma	فطومه
		Dialloubhé	ديالوبه
		Sossobhé-Togoro	سوسوبه توقورو
		Soye	سويا
		Soufouroulaye	سوفوروﻻيه
- NIAFUNKE -	—	Niafunké Central	نيافونكه الوسطى
		Sah	ساه
		Saraféré	سارافيره
		Youvarou	يوفارو
		Banikane	بنيكان
		N'Gorkou	نقوركو
		Léré (A.N)	ليره
		Soumpi (A.N)	سومبي

- TÉNENKHU -	—	Ténenkou Central	تننكو الوسطى
		Diafarabé	ديافارابه
		Toguéré-Coumbé	توقيره كومبه
		Dioura	ديوره
- S A N -	Com. Moy. Exercice	San Central	سان الوسطى
		Kimparana	كيمبارانا
		Yangasso	ياقاسو
		Sy	سي
- M A C I N A -	—	Macina Central	ماسينا الوسطى
		-Sarro	سارو
		-Kolongotomo	كولونقوتومو
		-Macina	ماسينا
- NIONO -	—	Niono Central	نيونو الوسطى
		Sokolo	سوكولو
		Pogo	بوقو

	—	Niono	نيونو
		Nampala (A.N.)	نمبالا
- SECOU -	Com. Pl. Exercice	Ségou Central	سيقو الوسطي
		Markala	مركالا
		Baraouéli	براوالي
		Dioro	ديورو
		Farako	فراكو
		Sanado	سنده
		Boura	بورا
		Cinzana	سينزانا
		Tamani	تماني
		Ségou	سيقو
- TOMINIAN -	—	Tominian Central	تومينيان الوسطى
		Mandjakuy	منجاكوي
		Koula	كولا
		Fangasso	فنقاسو

- BOUGOUNI -	- GOUVERNORAT DE SIKASSO -	Bougouni Central	بوقوني الوسطى
		Sanso-Garalo	صنسو قارالو
		Dogo	دوقو
		Koumantou	كومنتو
		Kéleya	كيليا
		Manankoro	منتكورو
- KADIOLO -	—	Kodiolo Central	كديولو الوسطى
		Misseni	ميساني
		Fourou	فورو
		Loulouni	لولوني
- KOLONDIEBA -	—	Kolondiéba Central	كولوندياما الوسطى
		Kadiana	كدياما
		Fakola	فكولا
- KOUTIALA -		Koutiala Central	كوتيالا الوسطى
		Bla	بلا
		M'Pessoba	بسوبا

	Com. Moy. Exercice	Konsèguéla	كونسيقالا
		Kouniana	كونيانا
		Falo	فالو
		Molobale	مولوبالا
- SIKASSO -	Com. Moy. Exercice	Sikasso Central	سيكاسو الوسطى
		Dandéresso	دندرسو
		Dogoni	دوقوني
		Kignan	كينيان
		Niéna	نيانا
		Lobougoula	لوبوقولا
		Kiéla	كيالا
		Koungoba	قونقوبا
		N'Kourala	نكورالا
- YANFOLILA -		Yanfolila Central	ينفوليلا الوسطى
		Filamana	فيلامانا

		Kangaré	كنقارا
	—	Guéléninkoro	قلانينكورو
		Kalana	كلانا
		Yorosso Central	يوروسو الوسطى
- YOROSSO -	—	Koury	كوري
		Boura	بورا

فهرس الاعلام

ابن امير حاجب ـ علي بن أمير حاجب
ابن جزى ٧٣ ، ٨٤
ابن الجوزي ٩٩
ابن رضوان ، ابو القاسم ٨٤
ابن سعيد المغربي ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩
ابن شيخ اللبن ٩١
ابن الصايغ الاموي ـ محمد
ابن فاطمة ٣٤ ، ٣٥
ابن فضل‌الله العمري ١١٨
ابن الفقيه الهمذاني ٣ ، ١٧ ، ٢٤
ابن الفقيه في مالي ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠
ابن كلز الدين ، سلطان دنقلة ٧٦
ابن الكويك التاجر ، سراج الدين ٩٧ ، ٩٨
ابن ابن الكويك ٩٨
ابن النقويش المصري ٧٧
ابو بكر (منسى) ١٢٢
ابو بكر بن يعقوب ٩٥
ابو الحسن المريلي ٧٨ ، ٨٤
ابو حفص ، تاجر ٨٨
احمد بن المهندار ٦٢
الادريسي ٤٠
أمير ميعة ٩٦
أهل الحرمين ٦٥
البربر ١٦
برمندانة ١٢١
بطليموس ٣١ ، ٣٣
البكري ٢٩
بنت عم السلطان ، بمالي ٧٧
التتار ٤٧ ، ٥٨ ، ٥٩
التكرور ١٠٤
جارية من دمشق ٩٨
جاظة (ماري) ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧
الجنحاني ـ علي
الحسن بن علي بن ابي طالب ٣٢
الخطيب بمالي ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٩١
خليفة (منسى) ١٢٢
الدكالي ، ابو العباس ٩٦
الدكالي ـ سعيد
دوغا الترجمان ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦
الزواوي ـ عيسى
الساحلي ، ابو اسحاق ٩١ ، ٩٧ ، ٩٨
ساكبورة (منسى) ١٢٢
سعيد الدكالي ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٠٣

١٠٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٠
١٣٤
سلطان التكرور ٣٠
سليمان (فربـا) ٩٨
سليمان (منسى) ٤٣ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
٨٨ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٢٧
سيف بن ذي يزن ٣٦
شفراسن ٤٦ ، ١١١
صاحب بريسا ٣٠
صاحب غانة ١٠٧
صاحب كتاب العبر ١٠٤ ، ١٢١
صالح بن عبدالله ... بن علي ١٢٩
صندكي ١٢٨
صنهاجة ٣٩
الطويجن ـ هو الساحلي
عبد الرحمن قاضي مالي ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩
٨٠ ، ٨٥
عبد الواحد الفقيه ٧٧
العجرمي ـ مهنا بن عبد الباقي
علي بن امير حاجب ، المهمندار ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨
٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٦ ، ١١٤
١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦
١٣٣ ، ١٣٤
علي الجنحاني ٢١
عيسى الزواوي ٦٦ ، ٦٩ ،
١١٦ ، ١١٧
قاسا ، زوجة السلطان بمالي ٨٩ ، ٩٠
قنتبا بن جافلة (منسى) ١٢٧
قو بن جافلة (منسى) ١٢٣ ، ١٢٩
لمتونـة ٤٦
لمطم ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢
مالك بن انس ٤٣
محمد بن راعنوه الوزير ٦٧
محمد بن الصايغ ٦٧ ، ٦٨ ، ١١٨
محمد بن عمر المكناسي ١٠٠
محمد بن الفقيه الجزولي ٧٧
محمد الفيلالي ١٠٠
محمد بن قلاوون ، الملك الناصر ٦٢ ، ٦٣
٧٦ ، ١٢٢
١٢٤ ، ١٢٥
محمد بن قو (منسى) ١٢٣
محمد الوجدي التازي ١٠٠
محمدي ، سلطان الكانم ٣٦
محمود بن قو (منسى) ١٢٩
مدينـة ٤٦ ، ١١١
المريني ـ ابو الحسن
مسوفة أهل اللثام ٩٧
الملتاني ، ابو الربيع ٢٤
الملثمون ١٢١
مفا (فربا) ٩٦
مف (منسى) ٩١ ، ١٢٧
موسى (فربا) ٩٧
موسى (قلجا) ٨١
موسى (منسى) ٤٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ،
٦٦ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
١٢٣ ، ١٣٣
موسى الونجراني ٨٤
المهمندار ٦٣
مهنا بن عبد الباقي ٦٤ ، ٦٥
الهمـج ١٠٣
والي (منسى) ١٢٢
ولي (منسى) ١٢٢
يربـا ٤٤ ، ١٠٩
ينتصـر ٤٦ ، ١١١

فهرس الاماكن

آسفي ١١٠
ارض البربر ٢١
ارض الزنج ٢٧
الاندلس ٦٧ ، ٧٣
انكزار ٣٥
الهو ٣١
اودغست ٣٩
ايران ٥٤
ايوالاتن ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٩ ،
بانبغو ٤٤ ، ١١٠
البجة ٧
البحر المحيط ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
بندي ٣٣ ، ٣٤
برانورى ٤٤ ، ١١١ ،
بر العدوة ٤٥ ، ١٠٣
بركة الحبش بالقاهرة ٩٧
البرنو ١٠٣ ، ١٠٩
بريسا ٣٠ ، ٣١
بغامة ٢٤
بطائح العراق ١٠٩
بلاد التبر ١٥ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٥
بلاد تورات ٥٤
بلاد لمتونة ١٦
بلاد الليمين ٧٦
بلاد المغرب ١١٠
تاجوه ٣٦
ترنكا ٤٤ ، ١١٠
تكرور (بلاد ، اقليم ، مدينة) ١٨ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢
تلمسان ٩١
تنبرا ٤٤ ، ١١٠
تنبكتو ٧٦ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨
تونس ، (الحضرة التونسية) ٣٦
الحبشة ٧ ، ٢١
الحجاز ٦١ ، ٦٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦
جابي ٣٥
جاجة ٣٥ ، ٣٦
جاطل ٩٠
جبال البربر ١٠٣
جزيرة التبر ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤
جنادل ٧٦
جيمي ٣٦
درمودا ٤٤ ، ١١٠

دمشق ٩٨
دنقلة ٧٦
ذكرى ٦٦
زاغرى ٧٥
زاغا ٤٤ ، ٧٥ ، ٧٦
١١١
زارفيرطا ٤٤ ، ١١٠
زافون ٤٤ ، ١١٠
سامقدى ٣٢
سجلماسة ١١ ، ١٥ ، ١٧
٢٥ ، ٤٠ ، ١٠٧ ، ١١٠ ،
١١٣ ، ١١٨
سلا ١١٠
سمغارة ٣٢
سنغانة ٤٤ ، ١١٠
السودان ٧ ، ١١ ، ١٥ ،
١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦
٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٣
٤٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٦
٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥
٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦
١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٨
صحراء نيسر ٤٠
صنصرة ٧٦
صوصو ١٠٥ ، ١٠٦ ،
١١١ ، ١٢٠ ، ١٢١
طورا ٤٥
العدوة ٦٨
غانة ٣ ، ١١ ، ١٥ ،
١٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣
٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥
٥١ ، ٦٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ،
١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٩
غرناطة ٧٤
غيارو ٣٣
الفرات ١٠٩
فران ٣٦
فم الابلابة ٦٧
قبر ابي اسحاق الساحلي ٩٧
القلعة ، بالقاهرة ١٢٤
قلنبو ٢٩
كابره ٤٤ ، ٧٥ ، ١١١
كارسخو ٧٥ ، ٧٦
الكانم ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦
١٠٨
كنبرنى ٩٠
كوار ٣٦
كورى (بحيرة) ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥
كوكو ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٤ ،
٧٦ ، ٩٥ ، ١٠٠ ،
١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
١٢٢ ، ١١١ ، ١٢٠
لمى (جبل) ٣١
لمى (نهر) ٣١
مالى ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥
٤٦ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥
٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٩
٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،
١١١ ، ١٢٠ ، ١٣٥
مانان ٣٦
متان ٣٦
مراكش ٤٥ ، ٦٦ ،
١٠٣

المريسة ٦٧
مسجد البيلمان بتوكو ١٠٠
مصر ٧ ، ٣٤ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٩٨ ، ١١٥ ، (الدلتا المصرية) ، ١٢٦ ،
مغارة الذهب ١١١
المغرب ٧ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ١٠٣
مقدشو ٣٤
مقورس (جبل) ٣٣
مكناسة ١٠٠
مكة ٥٨
ملل ٣١ ، ٣٢
مولي ٤٥ ، ٤٦
موبه ٢٩
ميمة ٩٧
نجم ٣٣
نكو ١١٧
النوبة ٧ ، ٣٩ ، ٧٦ ،
النيل (نهر النيجر) ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٤
الواحات ٧
وادي آش ٧٤
ونجرانة ٧٥
ونقارة ٣٣
اليمن ١٠٠
ينبي ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٦ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢٥
يوفي ٧٦

فهرس الجغرافيين

ابن الفقيه ١ — ٣
الاصطخري ٥ — ٧
الشريشي ٩ — ١٢
ياقوت الحموي ١٣ — ١٨
القزويني ١٩ — ٢٦
ابن سعيد المغربي ٢٧ — ٣٦
ابو الفداء ٣٧ — ٤٠
ابن فضل الله العمري ٤١ — ٧٠
ابن بطوطة ٧١ — ١٠٠
القلقشندي ١٠١ — ١٣٧